

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministre de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira-
Tasadawit Akli Muhend Ulhag - Tubirett-
Faculté des lettres et des langues
Département de lettre arabe



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العقيد أكلي محند أولحاج-البويرة-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها
التخصص: دراسات أدبية

رؤيا الإبداع الشعري وأبعاده الفنية والنفسية عند محمد
الفيثوري من خلال ديوان "يأتي العاشقون إليك"

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

إشراف الأستاذة:

د/هواشيرية بختة

إعداد الطالبتين:

- حسناوي إيمان

- بنينال مباركة

لجنة المناقشة:

رئيسا..... أ/ قاسي صبيرة

مشرفا ومقرا..... د/هواشيرية بختة

عضوا مناقشا..... أ/ سعدوني يحي

السنة الجامعية 2016/2017م.

إهداء

إلى الشمعة المتقدة التي تنير حياتي.....أمي

إلى الذي أحمل إسمه بكل فخر.....أبي

إلى الروح التي سكنت روحي.....زوجي

إلى الذين كانوا ملاذي وملجئى...إلى الذين تذوقته معهم

أجمل اللحظات.....أختاي العزيزتان يسرى ومنال

و القلب الطاهر والنفس البريئة.....أخي أنس

إلى الأهل والأحبة

إيمان

إهداء

إلى القلب الكبير.....والدي العزيز

إلى منبر الحب ولباس الشفاء.....والدي الحبيبة

إلى سدي في هذا الوجود.....إلى إخوتي

محمد الطيم، محمد المجيد، محمد العزيز

إلى من بوجوده من أكتسب القوة.....إلى

رفيقات دربي في هذه الحياة..... أخواتي الحبيبات

أمينة، وردة، حنان، سعاد

إلى الذين أحبهم قلبي

إلى كل الأقارب دون استثناء

مباركة

شكر وعرفان

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بأسمى آيات
الشكر والإمتنان والتقدير والمحبة للأستاذة المشرفة
الدكتورة : "هواشيرة بختة"، التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها
وبنصائحها التي أنارت لنا درج العلم وكانت عوناً لنا في
إتمام هذا البحث.

والشكر موصول لكل من ساعدنا.

باسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم

بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

إحتلت قضية الإبداع الشعري مكانة مهمة في الساحة الأدبية والنقدية فإختلفت الآراء حول هذه القضية التي ظلت زمنا طويلا يكتنفها الغموض والإلتباس وعندما تناولت أقلام الباحثين دراسة وتحليل هذه المسألة ظهرت أشكال متعددة للأبعاد والدلالات، ووجهات نظر تأتلف وتختلف فيما بينها. الشيء الوحيد الذي لا يمكننا الإختلاف عليه أنّ لكل شاعر رؤيته الخاصة وتصوره لعملية الإبداع الشعري والشاعر الذي صيّنا إهتمامنا عليه في هذه الدراسة هو الشاعر "محمد الفيتوري"، الذي كانت له رؤيته الخاصة لهذه العملية حيث كان لها أبعاد فنية ونفسية تجلت في ديوانه "يأتي العاشقون إليك".

أما عن الأسباب التي دفعتنا إلى إختيار هذا الموضوع، فهي عديدة أهمها: أهمية الموضوع وعدم إتفات الباحثين إلى الشاعر محمد الفيتوري رغم إنتاجه الشعري الضخم، بالإضافة إلى رغبتنا الذاتية في التعرف على هذا الشاعر عن كثب، وهذا ما جعلنا نطرح التساؤلات التالية: ما هو مفهوم الإبداع الشعري؟ من هو الشاعر محمد الفيتوري؟ ما هي الأبعاد الفنية والنفسية التي تجلت في ديوانه "يأتي العاشقون إليك"؟

وقد حاولنا الإجابة عن هذه الأسئلة بإتباعنا الخطة التالية: حيث قسمنا البحث إلى تمهيد،

وفصلين وخاتمة.

خصصنا التمهيد للجانب النظري، حيث وقفنا عند بعض المصطلحات التي إشتغلنا بها في المتن.

وجاء الفصل الأول بعنوان: محمد الفيتوري وتجربته الإبداعية، وقسمناه إلى مبحثين، تحدثنا في المبحث الأول عن حياة محمد الفيتوري، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان النص الموازي في ديوان "يأتي العاشقون إليك" وتطرقنا فيه إلى سيميولوجيا الغلاف والبعد اللغوي للعنوان وكذا الحقول الدلالية لقصائد الديوان.

أما الفصل الثاني حمل عنوان: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك" وقسمناه أيضا إلى مبحثين خصصنا المبحث الأول للأبعاد الفنية في الديوان حيث تطرقنا للإنزياح الأسلوبي والخيال والتصوير الفني وكذا للرمز والأسطورة بينما خصصنا المبحث الثاني للأبعاد النفسية في نفس الديوان حيث تطرقنا للذاتية والحرية والزنوجة وكذا للحنين عند الفيتوري من خلال الديوان. وخاتمة تضمنت أبرز النتائج المتوصل إليها.

أما عن المنهج الذي إتبعناه، فكان المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على وصف ودراسة الظاهرة وتحليلها.

وبالنسبة لأبرز المصادر والمراجع التي تم اعتمادها في هذا البحث فكان أهمها:

- الإتجاه الإفريقي في الشعر السوداني لحسن صالح التوم.
 - الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية لعز الدين إسماعيل.
 - بالإضافة إلى مجموعة من المقالات تحدثت عن الفيتوري نشرتها مجلة الدوحة.
- ومن الطبيعي أن يعترض البحث ببعض الصعوبات أهمها قلة المراجع، وتعثر الحصول على بعض دواوين الفيتوري الشعرية .

وختاما نرجوا أن يكون هذا العمل قد أدى الهدف المرجو، مع التسليم أنّ الكمال لله وحده.

سنركز في التمهيد على القسم النظري وذلك بالوقوف عند المصطلحات التي سنشتغل بها في المتن

(البحث)، وهذا ما يقتضيه البحث الأكاديمي، ومن جهة أخرى لنتقاضي كل لبس وتأويل غير مرغوب فيه،

ولننأى بأنفسنا عن السقوط في اللغة الإنشائية التي قد تعود وبالا على البحث . وهذه المصطلحات هي :

- الخطاب الشعري
- الرؤيا
- الإبداع
- الأبعاد (الفنية والنفسية)

الخطاب الشعري رسالة مرتبطة إرتباطا فنيا وجماليا، ورد في معجم المصطلحات الأدبية « الخطاب

هو: ملكة الكلام والقدرة عليه، القيام بالتعبير أو وصف أفكار أو مشاعر أو مفاهيم بواسطة الكلمات، ما

يلقيه الخطيب أمام الجمهور، شكل أو أسلوب التعبير أو الإتصال»⁽¹⁾ وجاء في المعجم المفصل في

الأدب، الخطاب « نص يكتبه كاتبه إلى شخص آخر، ويسمى كذلك الرسالة ويتضمن الخطاب أخبارا

تعني الطرفين، وكانت الخطابات موجزة ثم أسهب بها الكتاب حتى غدت فنا قائما بذاته، وقد يكتب المرء

خطابه شعرا»⁽²⁾، والشعر من أجود فنون العرب فهو ينبوع المشاعر الإنسانية ولغتها الموحية فهو فيض

الأحاسيس التي تسكن النفس البشرية بكل صدق ويعبر عنها بكلام عذب.⁽³⁾ يقول أبو العلاء المعري في

¹-نواف نصار، معجم المصطلحات الأدبية، ط1 ، دار المعتر، عمان، الأردن، 2011، ص110.

²-محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، الجزء3، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999، ص402.

³-ينظر:حامد سالم درويش الرواشدة، الشعرية في النقد العربي الحديث(رسالة دكتوراه)،قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، الأردن، 2006، ص40.

هذا الصدد: « الشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحس »⁽¹⁾ ، إنَّ

الشعر يخاطب العاطفة والوجدان ويمثل تجربة الشاعر الذاتية حيث تتجسد التجربة الشعرية عبر رؤيا

الشاعر الإبداعية .

والرؤيا هي « نتيجة لما تتوصل إليه الرؤية، فالرؤية نظرة حسية تجزيئية للأشياء تقف عند المظاهر

الخارجية، أما الرؤيا فتتجاوز الظاهر إلى الباطن لتكشف علائق جديدة تعيد على ضوئها ترتيب الأشياء

ثانية وصنع عالم جديد، فالرؤيا هنا إمتداد للرؤية »⁽²⁾، ويرى أدونيس أن الرؤيا « كشف، إنها ضربة

تزيح كل حاجز أو هي نظرة تخترق الواقع إلى ما وراءه »⁽³⁾، وبذلك يمكننا القول أنَّ الرؤيا « إبداع ،

ويمكن تعريف المبدع على صعيد الرؤيا بأنه من يبدع في نفسه صورة خيالية أو مثالا ويبرزه إلى الوجود

الخارجي »⁽⁴⁾ ، فالشعر لا يعد موضوعا « وإنما هو نظرة إلى الموضوع ورؤية خاصة له وإكتشاف

دلالات جديدة فيه »⁽⁵⁾.

لقد ظهرت ملامح الإبداع في الخطاب الشعري عند القدامى، ذلك الإبداع الذي يحكي قصة الجمال

الشعري من خلال ما قرأناه لهم من نصوص شعرية عذبة . فالشعر تربع على إهتمامات الإنسان العربي

قديمًا.

¹ - أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تح: عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطيء)، ط9، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ت، ص251

² - فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر، د. ط، إتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 2005، ص115.

³ - أدونيس، الثابت والمتحول (ج3 : صدمة الحداثة)، ط1، دار العودة بيروت، لبنان، 1978، ص167.

⁴ - المرجع نفسه، ص167، ص168.

⁵ - فاتح علاق، نفس المصدر السابق، ص184.

والإبداع هو « الطاقة المدهشة لفهم واقعين منفصلين والعمل على إنتزاع ومضة من وضعها جنباً إلى

جنب»⁽¹⁾. وهو حالة عقلية بشرية تنحو لإيجاد أفكار أو طرق ووسائل غاية في الجدة والتفرد بحيث

تشكل إضافة حقيقية لمجموع النتاج الإنساني، فهو القدرة على تكوين وإنشاء شيء جديد، أو دمج الآراء

القديمة أو الجديدة في صورة مبتكرة، الإبداع « طاقة عقلية هائلة فطرية في أساسها إجتماعية في

نمائها، مجتمعية وإنسانية في إنتمائها»⁽²⁾.

جاء في معجم التعريفات : « الإبداعُ هو إيجاد الشيء من لا شيء، وقيل الإبداع: تأسيس الشيء

عن الشيء، والخلق إيجاد شيء من شيء، قال الله تعالى في "سورة البقرة" الآية (117) ﴿يُدْعِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾ وقال أيضا في "سورة الرحمن الآية" (3) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾. فالإبداع أعم من الخلق «⁽³⁾.

ارتبط الإبداع بالإنسان منذ القديم فالشعراء القدامى أبدعوا في بيئة لها مكانتها، فمنابع الإبداع تلك

جاءت من واقع الحياة التي عاشها أولئك الشعراء لأنهم إستطاعوا أن يستخدموا أدوات ذلك الإبداع في

شكل جميل وعذب يواكب قدراتهم القولية في الشعر⁽⁴⁾. صحيح هم لا يعرفون الكتابة أو ربما القراءة

لضعف تعليمهم غير أنهم أبدعوا قولاً في قصائدهم التي إمتازوا بحفظها أياً كان عدد أبياتها .

¹ - طارق محمد السويدان ومحمد أكرم العدلوني، مبادئ الإبداع، ط3، قرطبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2004، ص17.

² - المرجع نفسه ، ص17.

³ - علي محمد الشريف السيد الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، د.ط، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د.ت، ص10.

⁴ - ينظر: عبد العزيز الصعب، منابع الإبداع في الشعر السعودي، جريدة الرياض، العدد: 15983، الأربعاء 28 مارس 2012، تصدرها مؤسسة اليمامة الصحفية، المملكة العربية السعودية.

إنَّ المنابع الشعرية في صياغة النص الشعري ظهرت منذ القدم من خلال المكان والبيئة التي أعطت

عملية الإبداع طابعا خاصا جسده الشعراء في أعذب الصور الشعرية والتي مازالت قصائدهم متداولة

حتى وقتنا الحاضر. (1)

يرى الشاعر السعودي عبد الهادي صالح أن للإبداع الشعري محفزات « إما أن تأتي من داخل

الشاعر ومحيطه وتتصل به مباشرة أو أنها غير مباشرة تصل إليه من الخارج ، حيث تشكل محفزات

الإبداع ركيزة مهمة في عملية الخلق الشعري بعد أن ينفعل الشاعر بشيء ما ترك أثره على نفسه وألهب

عواطفه وأيقظ أحاسيسه وتفاعل معه فتتوالد المعاني وتنهل عليه المفردات وتتناغم الحالة الإبداعية مع

ذات الشاعر وتبدأ الموهبة الشعرية عملها حتى يكتمل بناء القصيدة » (2).

لقد أثارت قضية الإبداع الشعري حيرة وجدلا واسعا في الوسط الأدبي حيث إعترف العرب بأن هذه

العملية عسيرة على الفهم مما أسس لدى العربي إعتقادا بوقوف أطراف لا إنسانية وراءها (شياطين

الشعر)، إذ إعتقد بوجود شياطين الشعر وكانت هذه القضية مرتبطة بشعراء الجاهلية وترعرعت في

أرضية تراثية عربية قديمة. (3)

أمام هذا العجز في تفسير عملية الإبداع الشعري لم يكن أمام العرب سوى اللجوء إلى بعض

¹ - ينظر: عبد العزيز الصعب، منابع الإبداع في الشعر السعودي.

² - عبد الهادي صالح، محفزات الإبداع في الشعر السعودي (رسالة ماجستير)، قسم الأدب العربي والنقد الأدبي، كلية اللغات، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2015، ص 8.

³ - ينظر: نور الدين حديد، مفهوم الإبداع الأدبي في النقد العربي المعاصر (رسالة ماجستير)، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف 2، الجزائر، 2013/2014، ص 16.

المعتقدات الأسطورية، والقول بوجود قوى خفية تلهم الشعراء على قول الشعر.

فعملية الإبداع الشعري في نظرهم تقف وراءها كائنات خرافية تتجاوز قدراتها قدرات البشر. هذا يجعلنا

نتعجب من موقف القدماء في نسبة هذه الومضات الإبداعية المفاجئة إلى قوى غير عادية أو خارقة أو

إلى وحي الأحلام والرؤى فهي تظهر خارج نطاق العمليات العادية التي تستند إلى الوعي (1).

إنّ أجيالا من الشعراء حملوا إلينا الإبداع الشعري وجعلوه علامة بارزة في المجتمع القارىء فهم إمتازوا

بالإبتكار والإلهام.

تغير مفهوم الإبداع الشعري العربي تحت عناوين عدة : (عمود الشعر، الحداثة الشعرية، التجديد

في الشعر...). (2) إنّ المصطلحات التالية: الإبتكار، الإختراع، الإكتشاف، الذكاء، الموهبة، التجديد... (3)

كلها تقودنا إلى مفهوم واحد وهو الإبداع .

أخذ كثير من شعراء المدرسة الرومانتيكية بسحر العملية الإبداعية وطبيعة الموهبة الفنية، فبسبب

غياب التفسير العلمي مرّ هؤلاء الشعراء بفكرة الإلهام ، ودفعتهم إلى المحاكاة الأسطورية التي تظهر

الشعراء مسلوبي الإرادة، وتجعل الخواطر الشعرية تلمع فجأة في ذهن الشاعر من غير جهد وينسبون ما

تجود به خواطرهم إلى وحي أحلامهم ورؤاهم (4).

¹-ينظر: جهاد شاهر المجالي، دراسات في الإبداع الفني في الشعر، ط1، دار يافا العلمية، عمان، الأردن، 2008، ص13.

²-ينظر: نور الدين حديد، مفهوم الإبداع الأدبي في النقد العربي المعاصر، ص25.

³-ينظر: طارق محمد السويدان، محمد أكرم العدلوني، مبادئ الإبداع، ص19.

⁴-ينظر: جهاد شاهر المجالي، نفس المرجع السابق، ص15.

حسب ماكينون إن « للإبداع أربعة مكونات أساسية هي : العمل الإبداعي ، العملية الإبداعية،

الشخص المبدع، الموقف الإبداعي ». (1)

لا خلاف أن الإبداع الشعري يتمثل في إمتلاك الشاعر للعاطفة الصادقة والخيال القوي والأسلوب

الرصين والموسيقي المؤثرة، فإن توفرت هذه العناصر في شعره أصبح شاعرا مبدعا (2) لخطاب شعري

يحمل عدّة أبعاد (فنية ونفسية) .

ويقصد بـ "البعد الفني" ذلك « البعد الجمالي الذي يقتضي إيجاد مسافة وجدانية واضحة تفصل

بين شخصية القارئ والعمل الفني الذي يظهر بعيدا عن مجال تجارب القارئ، هو تمييز بين الحقيقي

والوهمي في العمل، ويتحدد (البعد الجمالي) بمعايير العصر ومغامرة / إكتشاف الشعري ». (3) إنَّ

الفلسفة الجمالية للشعر « تتبع من صميم طبيعة العمل الفني وليست مبادئ خارجية مفروضة فالشعر

المعاصر يصنع لنفسه جمالياته الخاصة، سواء في ذلك مايتعلق بالشكل والمضمون...وهو في تحقيقه

لهذه الجماليات يتأثر كل التأثر بحساسية العصر وذوقه ونبضه ». (4)

أما البعد النفسي فيقصد به مجموع الإنفعالات والأحاسيس التي تسيطر على المؤلف وتساعدنا على

إكتشاف شخصيته وكذا علاقته بإبداعه، فعلم النفس « والأدب يتناولان موضوعات واحدة...الخيال

¹ -طارق محمد السويدان، محمد أكرم العدولي، المرجع السابق، ص18.

² -ينظر: عبد الهادي صالح، محفزات الإبداع في الشعر السعودي، ص19.

³ -سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1985، ص51.

⁴ -عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د. ت، ص13.

والأفكار والعواطف وما شابه»⁽¹⁾، وهذا ما يجعل الناقد يستفيد من نتائج التحليل النفسي وذلك من خلال

« إلقاء مزيد من الضوء على العمل الفني، ولستكشاف أبعاد التجربة أو التجارب التي يقدمها، وتفسير

الدلالات المختلفة التي تكمن وراء الأعمال الفنية ».⁽²⁾

لايزال الإبداع الفني موضوعا مثيرا للذهن، فلا تزال الكثير من الأسئلة تنتظر إجابة عما يتعلق

بطبيعة الموهبة الفنية كإختصاصها ببعض الناس دون الآخرين، وقدرة الشاعر على القول في بعض

الأوقات وامتناعه في أوقات أخرى ، وحتى يومنا هذا لسنا أكثر قربا من القدمات إلى حل لغز الإبداع

الفني والإجابة عن مثل هذه التساؤلات .

¹-عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ط4، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، د. ت، ص12.

²-المرجع نفسه، ص17.

الفصل الأول : محمد الفيتوري وتجربته الإبداعية

المبحث الأول : حول حياة محمد الفيتوري

(مولده ونشأته، العوامل التي اثرت في شخصيته، مصادر

ثقافته، زواجه، مكانته الشعرية ووظائفه، أعماله الإبداعية، وفاته)

المبحث الثاني : النص الموازي في ديوان "يأتي

العاشقون إليك"

أولاً: سيميولوجيا الغلاف

ثانياً: البعد اللغوي للعنوان

ثالثاً: الحقول الدلالية لقصائد الديوان

المبحث الأول : حول حياة محمد الفيتوري

أولاً - مولده ونشأته:

يرجح أن الشاعر محمد مفتاح رجب الفيتوري ولد عام 1930م، وهو نفس تاريخ ميلاد صديقه الشاعر محي الدين فارس حيث يؤكد هذا الأخير أنه كان يبلغ من العمر سنتين عند هجرتهم من السودان إلى الإسكندرية، وهو نفس عمر الفيتوري آنذاك. حيث يقول: « قد بلغت العلاقة حدّ الرضاة فأمي أرضعت الفيتوري وعندما أراد أن يتزوج من أختي نورة نبهتهم إلى هذه المسألة فلم يتزوجها»⁽¹⁾.

وعن نسبه يقول حسن صالح التوم: « أبوه من دارفور، أمه إسمها (عزيزة) من دارفور

أيضا ولأسرته علاقة مع إحدى الأسر الليبية المتجاورة مع الحدود التونسية»⁽²⁾.

من خلال محاولة البحث عن حقيقة نسب الفيتوري صادفتنا عدّة تعريفات منها: « أنه زنجي

الجد من أعالي بحر الغزال مصري الأم وسوداني الوالد»⁽³⁾. ومنها أيضا أنه لبيبي الأب

وسوداني الأم⁽⁴⁾

¹ - حسن صالح التوم، الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني، ط1، سولو للطباعة والنشر، الخرطوم، 2002. ص239، ص240.

² - نفس المصدر، ص 239.

³ - إيمان بقاعي، (السوداني) محمد الفيتوري، صحيفة العرب، العدد 9900، الاثنين 27/07/2015، السنة 37 (صحيفة عربية يومية تأسست في لندن سنة 1977)، تصدر عن al arab publishing house، لندن، ص14.

⁴ - ينظر: أنور المرتجي، محاط بدفء تغمرني به أسرتي (حوار مع الفيتوري، مجلة الدوحة، العدد 84، تصدر عن وزارة الثقافة والفنون والتراث، أكتوبر 2014، ص46.

وينفي محي الدين فارس صديق محمد الفيتوري، الذي نشأ وترى معه كل هذه الأقاويل والتعريفات حيث يقول في هذا الصدد: « هو مجرد مهاجر في الإسكندرية ووالده لم يتزوج مصرية ولم يتزوج الفيتوري مصرية من بعد »⁽¹⁾.

نشأ الفيتوري مع أسرته المكوّنة من الوالدين وأخته عائشة بالإسكندرية، حيث إنصرف والده « الشيخ المتدين لإقامة الأذكار والليالي الدينية على الطريقة الشاذلية التي يتبعها، لقد كان صوفيا بارزا وخليفة في الطريقة الشاذلية العروسية الأسمرية، كان يعالج الناس بالقرآن ويعيل أسرته »⁽²⁾.
 التحق الفيتوري « بالمعهد الديني بالإسكندرية ، ثم إنتقل إلى القاهرة ليكمل تعليمه الأزهري ودرس في كلية دار العلوم »⁽³⁾.

ثانيا- العوامل التي أثرت في شخصيته

كان لحكايات جدته زهرة تأثير عميق في تكوينه النفسي منذ طفولته، فهذه الجدة كانت تحكي لحفيدها الصغير عن ماضيها البائس وعن جدّه الذي كان يتاجر بالعاج والرقيق وعدم إستقرارهم، بالإضافة إلى معاناتها الشخصية ونظرة الناس الدونية إليها بسبب لونها الأسود. هذا كله كان له تأثير عميق في تكوينه النفسي وأدائه الإبداعي.⁽⁴⁾ فهذه الجدة الإفريقية سكبت في روحه خيالات من آفاقها السرية الغامضة.

¹ - حسن صالح التوم، الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني ،ص240.

² - نفس المصدر، ص239.

³ - معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، <http://www.albaptainprize.org/encyclopedia/>

⁴ - ينظر سالم أبو ظهيرة، الحالات النفسية للفيتوري، مجلة الدوحة العدد 84، أكتوبر 2014، تصدر عن وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ص 52.

فكانت زهرة حاضرة بقوة ولم ينسها، حيث أهداها ديوانه الشعري "يأتي العاشقون إليك" يقول

في الإهداء: (1).

جنتي المسكينة

إلى الزهرة الإفريقية

رغم شواهد النسيان.

القائمة في ذاتي

هذا كله كان كافياً لطفل يحب جنته ومتعلق بها أن يرث منها عقدة العبودية وتكون محور

إهتمامه طيلة حياته.

بدأ محمد الفيتوري يعاني من عقدة اللون والعنصرية عندما إتجه مع عائلته إلى الإسكندرية

للاستقرار فيها، في هذا العهد كان يشعر بوطأة لونه الأسود في هذه المدينة التي كُون فيها

الأوروبيون طبقة أرستقراطية بيضاء. (2) حيث يقول في ديوان "يأتي العاشقون إليك" : «عندما كنت

طفلاً في مدينة الإسكندرية، لم تكن المياه تتدفق مثلما عليه الآن، حينذاك كنت لا أرى من الإنسان

إلا لون الإنسان... قشرته الخارجية هي وحدها إشارة وضعه الطبقي، وهي الحاجز الفاصل بين

قيمه ومحتواه وبين قيم ومحتويات الآخرين». (3) هنا يبرز الفيتوري شعوره بدمامة لونه، ثم يواصل

حديثه قائلاً : «حينذاك كانت الأيام تختلط في عيني ... وكانت الرؤى تتداخل كانت مجرد نظرة

متشعبة، إبتسامة ساخرة، لثقاتة دون قصد تُحدث في داخلي إفجاراً كونياً مدمراً تتداعى خلاله

الإنفعالات والتأويلات الكابوسية والمثيرة للشعريرة والمغرقة في الأوهام والإضطرابات ربما كان مرد

1 - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1992، الإهداء.

2 - ينظر شعبان يوسف، في النقد الأسود، مجلة الدوحة، العدد 84، أكتوبر 2014، تصدر عن وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ص59.

3 - محمد الفيتوري، نفس المصدر السابق، ص7.

ذلك كله إلى إفتقاري للوعي الصحيح بنظام العلاقات الإنسانية في مجتمع تاريخي ما، إتجاه كائن ما»⁽¹⁾. ففي هذه المدينة كان الفيتوري يشعر بوطأة لونه الأسود.

كان لصوفية والده تأثير عميق على شخصية هذا الطفل فبدأ هذا التأثير يظهر منذ نعومة أظافره حين كان « يترك اللعب وينضم لرفاق والده ليردد معهم التواشيح الصوفية التي كان لها دور بارز في شعره »⁽²⁾.

ثالثاً - مصادر ثقافته

أجرى جهاد فاضل مقابلة مع الفيتوري قال فيها أنه تربى في حضن الشعر العربي القديم جداً، فكان في صغره شديد التأثير بسيرة عنتر بن شداد.⁽³⁾ ويقول الدكتور حسن صالح التوم في هذا الشأن : « لما تفتح ذهنه للقراءة الحرة فصار يقرأ لهم ولكنه -بشيء في نفسه- كان معجباً أشد الإعجاب بسيرة عنتر بن شداد ذلك الشخص الضائع النسب ما بين الحرية والإسترقاق، قد وجد في قصته متنفساً لما كان يشعر به من ألم »⁽⁴⁾. كما أعجب الفيتوري « بقصة أبي زيد الهلالي وسيف بن ذي يزن ومن الشعراء العالميين أعجب ببودليير ... شاعر أبيض يحطم الفوارق بطريقته الخاصة ذلك أن بودليير الفرنسي كان يحب فتاة داكنة اللون إسمها جان ديفال »⁽⁵⁾.

صرح الفيتوري في مقابله مع جهاد فاضل أنه عندما كان في الثانوي قرأ ديوان السياب الأول (أزاهير ذابلة) وقصيدة نازك الملائكة (الكوليرا) وديوانها (عاشقة الليل)، كما قرأ للشاعر المصري

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون اليك، ص7.

² - إيمان بقاعي، (السوداليبي) محمد الفيتوري، ص14.

³ - ينظر: جهاد فاضل، قضايا الشعر الحديث، ط1، دار الشروق، لبنان، 1984، ص 332.

⁴ - حسن صالح التوم، الإتجاه الإفريقي في الشعر السوداني، ص 241.

⁵ - المصدر نفسه، ص241.

كمال عبد الحليم، ولخليل حاوي (نهر الرماد)، ولأدونيس (معيان الدمشقي) وأنه زامل صلاح عبد الصبور. (1)

رابعاً - زواجه

تزوج الشاعر محمد الفيتوري أثناء إقامته بالسودان من فتاة سودانية أنجبت له ولداً وبناتاً، ثم من فلسطينية مغتربة. (2).

خامساً - مكانته الشعرية ووظائفه

حظي الفيتوري بمكانة متميزة في الساحة الشعرية حيث حصل على عدة جوائز منها: ³ جائزة الوسام الرفيع (وسام الفاتح) 1988، وجائزة الوسام الذهبي للعلوم والفنون والآداب (السودان) 1990. كما إشتغل في الصحافة كمحرر أدبي في عدد من الصحف المصرية والسودانية قبل أن يشغل منصب خبير إعلامي في الجامعة العربية 1968-1970 ثم عين مستشاراً ثقافياً في السفارة الليبية بإيطاليا ثم مستشاراً وسفيراً في السفارة الليبية بلبنان، ثم عين بعدها مستشاراً سياسياً وإعلامياً بسفارة ليبيا بالمغرب. (4) أحبه أنور السادات وقربه إليه في بداية مسيرته وأرسله ليشارك بلاده في عيد إستقلالها، فعاد الفيتوري إلى السودان اليوم الأول من يناير 1956، أراد أن يعيش هذه اللحظة من عمر وطنه ويكون جزء من الحدث وهو المغترب طوال عمره (5).

سحب منه رئيس الحكومة السودانية "جعفر النميري" الجنسية السودانية ، مما دفع الرئيس معمر القذافي منح الفيتوري الجنسية الليبية، وجواز سفر دبلوماسي. وبسقوط نظام القذافي سحبت

¹ - ينظر : جهاد فاضل، قضايا الشعر الحديث، ص332، ص333.

² - ينظر: حسن صالح التوم، الإتجاه الإفريقي في الشعر السوداني، ص241، ص242.

³ - معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين <http://www.albahrainprize.org/Encyclopedia>

⁴ - ينظر: نفس المصدر

⁵ - ينظر: سالم أبو ظهيرة، الحالات النفسية للفيتوري، ص54.

منه السلطات الليبية جواز السفر الليبي، وفي آخر سنوات حياته عادت الحكومة السودانية ومنحته جواز سفر دبلوماسي، فمهنته كدبلوماسي سهلت له السفر الدائم والتنقل من بلد لبلد (1).

سادسا - أعمال الفيتوري الإبداعية

تميزت التجربة الشعرية للفيتوري بثرائها وتنوعها وربما مرد ذلك إلى الواقع الذي عاشه وما ولده من إنعكاسات نفسية. فكتب الفيتوري في مواضيع عديدة ومتنوعة، وكان لإفريقيا الحظ الأوفر في شعره فإهتم بالحركات التحررية الإفريقية داعيا الشعوب إلى التحرر، صدر للفيتوري أربعة دواوين تتحدث عن القارة السمراء بعنوانين «أغاني إفريقيا 1955، عاشق من إفريقيا 1964، أذكرني يا إفريقيا 1965، أحزان إفريقيا 1966»². ناقش فيها قضايا هذه القارة وحمل مضمونها . يقول في قصيدة " أغاني إفريقيا " : (3).

يا أخي في الشرق، في كل سكن

يا أخي في الأرض، في كل وطن

أنا أدعوك ...

فهل تعرفني؟

يا أبا أعرفه، رغم المحن

إنني مزقتُ أكفان النّجى

إنني هَمّمت جدران الوهن

لم أعد مقبرة تحكي البلى

¹ - ينظر: سالم أبو ظهير، الحالات النفسية للفيتوري، ص53، ص54.

² - معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين <http://www.albahrainprize.org/Encyclopedia>

³ - الشاعر محمد الفيتوري، أغاني إفريقيا، مقطع فيديو للفيتوري نشر على موقع اليوتيوب.

<https://www.youtube.com/watch?v=hqgnocTEAy0>

لم أعد ساقيةً تبكي النمن

لم أعد عبدا قيودي

لم أعد عبد ماضٍ هريمٍ ..

عبد وثنٌ

أنا حي خالد رغم الردى

أنا حرٌ رغم قضبان الزمن

فإستمع لي ... إستمع لي

وكتب محمد الفيتوري في الهجاء معبراً عن سخطه واشمئزاه من الأوضاع الاجتماعية التي

كانت تعيشها السودان، ففي قصيدة "سقوط دبشليم" يهجو "الصادق المهدي" رئيس حكومة السودان

فترتي (1967، 1969 و1986، 1989)⁽¹⁾.

فيقول الفيتوري:⁽²⁾.

أكتب عن عصرك ..

عصر الغضب الميت ..

عصر الضحك المقهور ..

عصرك يا مولاي ..

حيث تركض الخيول في القمام

وتسكن الغريان في العمائم

حيث يهب فجأة من ظلمة ..

¹ - ينظر: الصادق المهدي، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

² - الشاعر محمد الفيتوري يهجو الصادق المهدي، مقطع فيديو للشاعر محمد الفيتوري في مقابلة تلفزيونية منشور

على موقع اليوتيوب. <https://www.youtube.com/watch?v=CIXKvzpuisS>

العصور .. الديناصور ..

الريح في شوارع المدينة المائلة الشرفات ..

تدحرج الطبول والقمر القديم شاحب .. الرؤى

يحلم بالأفول ..

يا ريح ما الذي أقول ..

لو أنّ ذلك القمر القديم مات .. ما الذي أقول؟؟

وقال بيديا ..

اللصوص إقتحموا حواجز الميناء

وحطموا سارية السفينة

وسرقوا كنوزها الثمينة ..

ولم يزل قبطانها يضرب في أزقة المدينة

يبحث عن منظاره القديم

تلك هي الرواية التي أرى فصولها يا دبليشيم ...

ومن أجمل ما كتب الفيتوري في الرثاء قصيدة "قلبي على وطني" رثى فيها عبد الخالق

محبوب «قيادي بارز في الحركة الشيوعية العربية والسودانية أعدمه النميري بعد انقلاب فاشل»⁽¹⁾

يقول الفيتوري في هذه القصيدة:²

حين يأخذك الصمت منا

حين يأخذك الصمت منا

¹ - عبد الخالق محبوب ، ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، عبد_الخالق_محبوب/https://ar.wikipedia.org/wiki/

² - الشاعر محمد الفيتوري، أقوال شاهد إثبات، ط4، منشورات الفيتوري الثقافية، الخرطوم، السودان، 1988، ص9.

فتبدو بعيدا..

كأنك راية قافلة غرقت

في الرمال

تعشب الكلمات القديمة فينا

وتشبهق نار القرايين

فوق رؤوس الجبال

وتدور بنا أنت ..

يا وجهنا المختفي خلف ألف سحابة

في زوايا الكهوف التي زخرقتها الكآبة

ويجر السؤال السؤال

وتبدو الإجابة نفس الإجابة

لم يكتب الفيتوري كثيرا في الحب ولم يقف طويلا عند المرأة جسدا أو عاطفة، غير أنّ له

قصيدة جميلة جدا بعنوان "ماضيها" يقول فيها : (1)

ماضيكَ ..

لو أنني أغار عليكِ من ماضٍ

لأحرقني لظاه

لو أنني أغار عليكِ من ماضٍ

لأحرقني لظاه

¹ - ماضيها، الشاعر محمد الفيتوري، مقطع فيديو للفيتوري منشور على موقع اليوتيوب،

<https://www.youtube.com/watch?v=rso4tL4HEZU>

لسقطت إعياءً أطارده
وفي عيني جرحٌ من رؤاه
ففي طلاسمة.. إهتكى أسراره
ورموزه حتى أراه ..
وأراك أنتِ به ..
أرى حواء كيف تغوض في وحل الحياه
قصيه ضاحكةً وباكيةً
وصارخةً .. ومطبعةً الشفاه
فلربما أيقظت غيرة شاعر
مثلي .. فعاد إلى هواه

نظم الفيتوري عدة قصائد يمدح فيها الرئيس الليبي السابق "معمر القذافي" ومنها قصيدته

الشهيرة "ها أنتِ ذا"، فيقول في بعض أبياتها : (1).

ها أنتِ ذا فوق صخرِ الموتِ تزدهرُ
تصحو وتصحو المرايا فيك والصور
ها أنتِ ذا تنفضُ الأجيالَ ثانيةً
فتستفيقُ الضحايا تنتصِرُ
ها أنتِ ذا أيُّها الآتي وقدسقطَ
الغيمُ القديمَ وجفَ العشبُ والشجرُ

¹ - قصيدة محمد الفيتوري في حب القائد معمر القذافي، مقطع فيديو لمحمد الفيتوري منشور على موقع اليوتيوب،

<https://www.youtube.com/watch?v=u0mRhpFtCIA>

كأنما جئت في كل العصور وقد
 كنت النبوءة في أحلام من عبروا
 كنت في الشوق حيث الروح مثقلة
 بالشوق والحلم في الأحضان ينتظر
 يا حامل الراية الكبرى إلى أفق
 رايته النجمتان المجد والظفر

كما وقف الفيتوري إلى جانب القضايا العادلة مثل قضية فلسطين، يقول في هذه الأبيات من

قصيدة ليس طفلا وحجارة: (1).

ليس طفلا، ذلك الخارج

من قبعة الحاخام

من قوس الهزائم

ليس طفلا وتمائم

إنه العدل الذي يكبر في صمت الجرائم

إنه التاريخ مسقوفا بأزهار الجماجم

إنه روح فلسطين المقاوم

إنه الأرض التي لم تخن الأرض

وخانتها الطرابيش ..

وخانتها العمائم ..

إنه الحق الذي لم يخن الحق

¹ - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص55، ص56.

وخانته الحكومات

وخانته المحاكم

فإنترع نفسك من نفسك

واسكب أيها الزيت الفلسطيني أقمارك

واحضن ذاتك الكبرى وقاوم

إنَّ البؤرة التي يدور حولها شعر الفيتوري هي الإفريقية، حيث كرس أكثر شعره لأفريقيا، القارة

السمراء التي تستحق غناء الشاعر وعناؤه أيضا.

سابعاً - وفاة محمد الفيتوري

تعرض الفيتوري إلى عدة جلطات دماغية في السنوات الأخيرة من حياته مما أدى لإصابته

بالشلل في الجزء الأيمن من جسده، حيث دخل في صراع مرير مع المرض وفي يناير من سنة

2015 راحت حالته الصحية تتدهور أكثر فأكثر وتزداد سوءاً.⁽¹⁾

رحل الشاعر محمد الفيتوري شاعر إفريقيا عن هذه الحياة يوم الجمعة 24 أبريل 2015 عن

عمر ناهز الخامسة والثمانين عاما بعد معاناة طويلة مع المرض في مستشفى الشيخ زايد بالعاصمة

المغربية الرباط .⁽²⁾

رحل شاعر إفريقيا والعروبة تاركا وراءه ثروة شعرية أثرى بها المكتبة الشعرية العربية، وتاركا

بصمته في الساحة الأدبية .

¹ - ينظر: طلحة جبريل، محمد الفيتوري مأساة شاعر وأحزان وطن، صحيفة سودانيل الإلكترونية السودانية، نشر بتاريخ 5 يونيو 2015 ، <http://www.sudanile.com>

² - ينظر: مصطفى السيد، مكتب الشباب الإفريقي ينعي الشاعر محمد الفيتوري، جريدة المصري اليوم، الإثنين 27/4/2012، www.almasyryoum.com

المبحث الثاني: النص الموازي في ديوان " يأتي العاشقون إليك " .

أولاً- سيميولوجيا الغلاف

السيميولوجيا: « semiology علم العلامات والرموز، هو العلم الذي يدرس الإشارات والعلامات التي يستعملها الإنسان للإتصال، ويتضمن ذلك الإشارات والإيماءات والكلمات والشعارات والإعلانات والنقوش والموسيقى...»⁽¹⁾

أما الغلاف فيعد واجهة العمل الأدبي الذي يحمل مضمونه وكذا يحمل معلومات أخرى من: إسم المؤلف، ونوع الجنس الأدبي، وعنوانه، ودار النشر، وغيرها من المعلومات الأخرى.

فمن خلال صورة الغلاف بوسعنا أن نفهم الدلالة الحقيقية والمجازية في آن واحد، فهو يعد « هوية بصرية وأول ما يحقق التواصل مع القارئ قبل النص ذاته لذا فهو يؤدي وظيفة إشهارية»⁽²⁾.

إختار محمد الفيتوري صورة رمزية عميقة، وأول شيء يشد إنتباهنا أن الشاعر ترك جدار الغلاف باللون الأبيض، وهذا راجع لما يحمله الأبيض من دلالات فاللون الأبيض هو رمز للطهر والنقاء والصفاء. فهو يمثل « نعم في مقابل (لا) الموجودة في الأسود إنّه الصفحة التي ستكتب عليها القصة، إنه أحد الطرفين المتقابلين، إنه يمثل البداية في مقابل النهاية»⁽³⁾. إنَّ اللون الأبيض الأقرب إلى عوالم الطفولة والبراءة. إعتد الفيتوري على لونين لا غير، لونين متناقضين تماما، الأبيض والأسود. وهذا الإختيار للألوان لم يكن إعتباطيا من قبل الشاعر لأن هذا له دلالة عميقة

¹ - نواف نصار، معجم المصطلحات الأدبية، ص164.

² - حنينة طبيش، سيميائية الصورة الغلافية، قسم اللغة والأدب العربي، مجلة فتوحات، العدد الثالث، جوان 2016، تصدر عن مخبر التأويل والدراسات الثقافية بكلية الآداب واللغات لجامعة خنشلة، الجزائر، ص 97.

³ - أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1982، ص185، ص186.

في نفسيته، فالأسود «أعمق الألوان وهو في الحقيقة سلب اللون نفسه. الأسود هو (لا) المضاد ل (نعم) الأبيض»⁽¹⁾. فهذا اللون هو لون الحزن والوحدة والإحساس بالوحشة فهو جزء من حياة الفيتوري بإعتباره زنجياً .

إنّ أولى معطيات الصورة في غلاف ديوان "يأتي العاشقون إليك" أنه يتشكل من لوحة تشكيلية بسيطة تمثل نصاً بصرياً، فهذه اللوحة تُصور الأبعاد النفسية للفيتوري وهي تضمين رمزي لها. ونلاحظ أنّ العنوان تجسيد لصورة الغلاف داخل الديوان أو بالأصح ما الصورة إلى ترجمة له وللحالة النفسية والاجتماعية التي يعيشها الفيتوري في واقعه.

تتمثل اللوحة التشكيلية لديوان الفيتوري في سلسلة متتابعة من أشجار النخيل، إختار الفيتوري هذا النوع من الأشجار كون النخلة « الشجرة الوحيدة من بين الأشجار التي لا يتساقط ورقها، كما أنها حظيت بأكثر التقدير والذكر والإهتمام في العصور الغابرة »⁽²⁾. فشجرة النخلة ترمز إلى الحياة⁽³⁾، والأصالة. فمن المعروف أنّ الشاعر ابن بيئته ومن هذا المنطلق إختارها لتزين الغلاف. إنّ فوق الأرض وبين أشجار النخيل قلوب صغيرة متناثرة ، أراد التعبير بها عن حبه لكل شبر من هذه الأرض، وفي وسط هذه السلسلة من الأشجار قلب كبير يحمل ملامح امرأة عجوز تضع قلادة وأقراط، وفوق القلب سهم صغير يشير إليه، وكأنّ الشاعر يريد إخبارنا أنه يقصد هذه المرأة العجوز. وإختار لها شكل قلب لحيه وتعلقه الشديد بها، فإحتمال أن تكون هذه العجوز أمه، أو جدته، أو إحدى قريباته. فوق هذه الأشجار سحبٌ وفي يمين الصفحة أعلى أشجار النخيل هلال.

¹ -د/أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص195.

² -الطيب العماري، النخلة في البيئة الصحراوية، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، تصدر عن جامعة غرداية ، الجزائر العدد15، 2011، ص240.

³ - المرجع نفسه، ص244.

في أعلى وسط الصفحة يتمركز إسم المؤلف مكتوب بخط محمد الفيتوري، بخط كبير وبلون أسود، وأسفل إسم الشاعر يأتي عنوان الديوان مكتوب هو الآخر بخط يد محمد الفيتوري، وبحجم أكبر بقليل من إسم الشاعر، يفصل بين إسم الشاعر وعنوان الديوان ورقتي من شجرة النخلة، يتوسطهما قلب وسهم يشير للقلب وقلبين آخرين صغيرين جدا أحدهما على اليمين والآخر على اليسار. وفي أسفل وسط الصفحة نجد إسم دار النشر مكتوب بخط مطبعي، وفي المساحة البيضاء بين اللوحة التشكيلية ودار النشر نقاط متناثرة بطريقة عشوائية .

والمطَّلَعُ على أشعار محمد الفيتوري يكتشف لأول وهلة أنَّ أشجار النخيل في صورة غلاف الديوان يقصد بها الشاعر الإشارة إلى إفريقيا أو الوطن العربي، فالفيتوري يُلقب بشاعر إفريقيا والعروبة لأن معظم أشعاره تتحدث عن إفريقيا أو عن البلدان العربية وقضايا التحرر.

بعد قراءة الإهداء تنفك الشفرة وتصبح الأمور واضحة، فذلك القلب الذي يحمل ملامح امرأة

عجوز ما هي إلا جنة الفيتوري "زهرة" التي أهداها هذا الديوان .

ثانياً- البعد اللغوي للعنوان

يحتل العنوان مكانة مميزة في العمل الأدبي الإبداعي، وبهذا يعتبر عتبة جمالية فنية في النص. ويعرف ابن منظور العنوان في قوله: « وعننتُ الكتاب وأعننته لكذا أي عرضته له وصرفته إليه، وعن الكتاب يعنه عنا. »⁽¹⁾.

ويرى عبد القادر رحيم أنَّ العنوان عبارة عن علامة لغوية تعلو النص لتسميه وتحدده وتغري القارئ لقراءته للعمل الأدبي، فلولا العناوين لظلت الكثير من الكتب مكدسة في رفوف المكاتب فللعنوان الفضل في ذبوع وانتشار وشهرة العمل الإبداعي وكذا المبدع، والعكس صحيح⁽²⁾.

يتمركز العنوان في أعلى النص، وذلك لإعطاء النص قيمة ولجذب القارئ أيضاً. ويعتبر العنوان أحد مكونات النص وهذا « يمنحه على صعيد التلقي أهمية إستثنائية »⁽³⁾.

ورد عنوان ديوان "يأتي العاشقون إليك" لمحمد الفيتوري في وسط صفحة الغلاف حيث صاغ الشاعر العنوان في سطرين، السطر الأول ضمَّ وحدتين أو كلمتين هما (يأتي، العاشقون)، ثم يليه السطر الثاني بكلمة واحدة (إليك).

يظهر هذا العنوان بنية متماسكة، فعلى الرغم من بساطته ووضوحه إلا أنه يحمل معنى عميقاً والكثير من الدلالات الخفية، وبهذا تكون له عدة تأويلات، يتميز عنوان "يأتي العاشقون إليك"

¹ - ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، مادة عنن، مجلد 13، طبعة جديدة، دار صادر، بيروت 2000، ص 294.

² - ينظر: عبد القادر رحيم، العنوان في النص الإبداعي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة خيضر بسكرة، (الجزائر)، العدد الثاني والثالث، جانفي-جوان 2006.

³ - مسكين حسينية، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر (رسالة دكتوراه)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2013/2014، ص 23.

بكونه جملة فعلية مكونة من فعل وفاعل وجار ومجرور، حيث نلاحظ أنّ هذه الوحدات اللغوية مستغرقة في الزمان والمكان، والمقصود بالمكان غائب لكنه حاضر في المعنى لأنه هو المقصود الذي يأتي إليه.

وبالتالي نطرح السؤال: ما قيمة هذا المقصود إليه؟ روحه؟ قلبه؟ هل هو مزارع للعشاق؟ هل هو منبت للعشاق؟

فهذا العنوان ببناءً لغوي يكتفي بذاته وتتراطبت عناصره المكونة ترابط مباشر بالنسبة لمسند إليه واحد أو متعدد⁽¹⁾.

يتألف العنوان "يأتي العاشقون إليك" من وحدات معجمية وهي: يأتي/ العاشقون/ إليك، حيث أنّ لكل كلمة مدلولها الخاص.

فكلمة "يأتي" عبارة عن فعل مضارع يدل على حدوث الفعل في الزمن الحاضر وله عدة وظائف كالحركية والحيوية وكساب حياة للحدث ودوام حالة صاحب الفعل. ونلاحظ أنّ في الفعل "يأتي" يجتمع الزمان والمكان معا حيث بدأ الفيتوري عنوانه بهذا الفعل المضارع الذي يدل على الإستمرارية، وبالتالي هو فعل للقادم من الحدث، والعاشقون فاعل.

أما كلمة "العاشقون" هي جمع كلمة عاشق والعاشق هو شديد التعلق بمن يحب، وهو من أضناه الحب والغرام، والعشق هو الفرط في الحب⁽²⁾.

¹ - شهيرة رزناجي، الجملة العنوان، دراسة تركيبية نحوية، روايات أغاتا كريستي أنموذجا، حوليات المحبر، العدد الأول، يصدرها مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013، ص 235، نقلا عن جوزريف ميشال، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص 40.

² - ينظر: معجم المعاني الجامع الإلكتروني، قاموس عربي عربي، WWW.almaany.com/ar/dict/ar-ar

والكلمة الأخيرة " إليك " : مكونة من عنصرين هما الجار "إلى"، والمجرور "الكاف".

إلى: تفيد إنتهاء الغاية الزمانية والمكانية، كأن نقول "إنتظرتُ فلاناً" من الساعة الثالثة إلى الساعة الرابعة.

ك: ضمير متصل مبني في محل جر إسم مجرور بـ "إلى" . يعود "ك" على المخاطب (أنت) ويفيد التحديد والتخصيص وغرضه تعظيم المخاطب وتمجيده والإعتزاز به والتقرب إليه. كما ساهمت كلمة "إليك" في إتساق النص وانسجامه وإزالة اللبس.

هناك إحتمالان لتأويل العنوان، فالإحتمال الأول أنّ الشاعر يقصد بهذا العنوان في مجمله أن العاشق يذهب إلى معشوقه أينما كان مكانه من أجل البوح بعشقه، فالعاشق دائم الإحساس بأن روحه غادرت له لتسكن روح محبوبه فيذهب وراءها باحثاً عنها.

أما الإحتمال الثاني: من الممكن أن يكون الشاعر يقصد مكاناً مميّزاً في العشق لدرجة أنه أصبح مرجعاً للعشاق أو مكاناً مقدساً للعشق.

إنّ عبارة "يأتي العاشقون إليك" إختصر فيها الفيتوري الكثير من المعاني التي يحتويها الديوان بمجمل أبعاده النفسية والفنية والجمالية أيضاً، حيث بيّن الشاعر من خلال هذا العنوان الذي عنون به ديوانه مدى عشقه للأمة العربية وإفريقيا، فالعنوان مرتبط بالنص مباشرة.

ثالثاً- الحقول الدلالية

1- مفهوم الحقول الدلالية

تعتبر نظرية الحقول الدلالية من أخصب أبواب علم الدلالة في الدراسات اللغوية الحديثة، حيث تعنى بدراسة الكلمات من خلال تجميعها في آفاق دلالية، « ويتكون الحقل الدلالي من مجموعة المعاني أو الكلمات المتقاربة التي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة وبذلك تكتسب الكلمة معناها في علاقاتها بالكلمات الأخرى، لأن الكلمة لا معنى لها بمفردها»⁽¹⁾. فالحقل الدلالي عبارة عن « مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها»⁽²⁾.

بمعنى أنّ الحقل الدلالي عبارة عن ألفاظ وكلمات يجمع بينها عنوان واحد يساعد المتلقي في فهم خبايا اللغة عند المؤلف.

وللشاعر محمد الفيتوري معجم ثري بالوحدات المعجمية، حيث كان حاملاً همّ الشعب العربي والإفريقي، وأصالة الأمة العربية، ولهذا إختار ألفاظاً مؤثرة من مفردات اللغة ، وقد تميز شعره بخاصية الصدق والخيال، وجزالة الألفاظ، ومثانة الصياغة والتراكيب وغيرها، حيث كان شعره متجددا قابلاً لمختلف القراءات والتأويلات.

2- الحقول الدلالية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

يعد ديوان "يأتي العاشقون إليك" من الدواوين المهمة في رحلة الشاعر الإبداعية، فجاء الديوان مشبعاً بالقومية العربية والنزعة الإفريقية. فحمل مشاعر الفيتوري الإنسانية العميقة.

¹ - أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002م، ص10.

² - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، طه، القاهرة، مصر، 1993م، ص 79.

كما يظهر تأثر الشاعر الكبير بالطبيعة فجعلها أداة للتعبير عن أحاسيسه حيث إستخدم عدة مفردات تدل عليها .

بالإضافة إلى المفردات الدالة على الإستعمار، والتي كان لها نصيبا في الورد في هذا الديوان، فكل شاعر يتكون معجمه الشعري من خلال ما تأثر به من ثقافة وبيئة ومحيط عاش فيه، أو ظروف نشأ فيها، أو مأساة مر بها .

ومن خلال المفردات والعبارات التي إستعملها الفيتوري في هذا الديوان يمكننا إستخراج الحقول الدلالية التالية :

أ- الحقل الدلالي الخاص بالطبيعة

يعدّ هذا الحقل من أكثر الحقول التي تضمنها هذا الديوان فلا غرابة في ذلك لأنّ الشاعر محمد الفيتوري كان شديد التأثر ببيئته التي عاش فيها، ويظهر هذا في عدة مواضع من الديوان . يقول الشاعر: (1) .

ربما لم تزل تلکم الأرض

تسكن صورتها الفلكية

لكن شيئا على سطحها قد تكسر

ربما ظل بستان صيفك

أبيض في الصيف

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص16.

لكن برق العواصف

خلف سياجك أحمر

رَّما كان طقسك، ناراً مجوسية

في شتاء النعاس الذي لا يفسر

يبدأ الشاعر القصيدة بوصف الريح وتشبيهها عندما تهبُ وكأنها ضربات تهوي على الأرض، وفي قوله "لكن شيئاً على سطحها قد تكسّر" يحاول إستعراض حالة من الأحزان .

إستعمل الشاعر في هذه الأبيات عدة كلمات مستمدة من الطبيعة « وبصفة عامة يمكن القول بأن الشاعر السوداني مفتون بطبيعة بلاده مع قسوتها وجهامتها، ومن النادر أن نجد شاعراً في هذه الفترة لم يحوّل طبيعة بلاده إلى لوحات مشرقة، هذا بالإضافة إلى أنّ الطبيعة من عناصر الخلق في شعرهم»⁽¹⁾.

ويقول في قصيدة أخرى : ⁽²⁾

في الرمل كان صعود قوس الفجر ...

لا

في النخل كان هبوط شمس الظهر ...

لا

¹ - عبده بدوي، الشعر في السودان، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، د. ت، ص 158.

² - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 108.

في الريح كان موت نجم المهرجان ...

في البدء كان النفط

قنبلةً على شط الخليج

وكان شيخ النفط يغرقُ

في لياليه الحسان

تتخر أغلب قصائد هذا الديوان بمفردات مأخوذة من الطبيعة (برق، الصيف، الشتاء، طقس، التراب، الشجر، عاصفة، الثلج، أمواج، الضباب، البحر، الأرض، الكون...)، وقد لجأ الفيتوري إلى إستعمال هذه الألفاظ بغية الكشف عن الحالة النفسية التي تكتنفه. فكل كلمة إستعملها كان يريد التعبير بها عن شيء آخر.

ب- الحقل الدلالي الثوري

يتضمن هذا الديوان الكثير من الألفاظ الحاملة لمعاني الاستعمار والظلم، والاستبداد، باعتبار الشاعر في صدد التعبير عن معاناة القارة الإفريقية وعن القضية العربية والفلسطينية . ويأتي الحقل الثوري في المرتبة الثانية بعد حقل الطبيعة حيث ضمَّ هذا الحقل العديد من المفردات مثل: جرائم، المقاوم، المجاعة، الدم، الحروب، الإستعمار طاغية، رصاص، الدمامة، القهر، الفجيرة، بطل، موت، الثورة، سيف، ذليل، الشهداء...)، وشعر الفيتوري غني بهذه الألفاظ الثورية، كونه شاعراً يحمل هموم الشعب وآلامه ومآسيه. يقول الشاعر في إحدى قصائده :⁽¹⁾

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 32.

قد مرّ طاغية من هنا ذات ليلٍ

أتى فوق دبابه

وتسلّق مجداً

وحاصر شعباً

غاص في جسمه

ونصبّ من نفسه للفجيرة رباً

يصور الشاعر في هذه الأبيات حال الشعب المضطهد، حيث إستخدم الألفاظ الموحية لحالة الظلم والاستبداد التي كان يعيشها، فالفيتوري هنا عبر عن الحالة العامة التي كانت تمر بها الأمة العربية إبان العدوان والاحتلال الصهيوني، حيث إعتد هذه الألفاظ لرصد تجربته الشعرية الإبداعية.

ت - الحقل الدلالي الخاص بالدين

إنّ الألفاظ والعبارات التي يتشكل منها الحقل الدلالي الديني، والتي إعتدها الفيتوري في هذا الديوان تدل علي خلفية الشاعر الدينية وصلته بالدين الإسلامي، هذا الدين الذي نشأ على تعاليمه، فكان حافظاً لكتاب الله منذ صغره⁽¹⁾.

ويضم هذا الحقل الدلالي الكلمات التالية : (الله، الله أكبر، آية، النبوة، الراكعين، الساجدين...).

¹ - ينظر: حسن صالح الثوم، الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني المعاصر، ص 239.

وقد ظهر تشبعُ محمد الفيتوري بالدين الإسلامي في عدة مواضع من الديوان ، يقول في هذه

القصيدة : (1).

واحذر بكاءَ الراكعين السَّاجدينَ لَدَيْكَ

إِنَّ اللهَ في فرحِ الجموعِ

في هذه الأسطر يحذر الشاعر من بكاء الراكعين السَّاجدين، الذين يقيمون الصَّلَاة فسيستجيب

الله لدعائهم ويرأف لحالهم، ويفرج عليهم همهم، فدعاء المظلوم مستجاب.

يقول أيضا : (2)

اللهُ يا بَغْدَادَ حَيْثُ قَوَّنتِ

لا صَعُرَتِ مَقَامَاتُ الرَّجَالِ

ولا الإِرَادَةُ بَيْنَ بَيْنِ

اللهُ أَكْبَرُ بَرْقُهُ مُلَّطَعِيٌّ وَن

وَنَ مُرْفِي الرَّاحَتَيْنِ

اللهُ يَا قُدْسِيَّةَ العُتْبَاتِ

يَا بِلْغَاعَ رَايَاتِ الرَّشِيدِ

وَ عِطْرَ فُنَّاسِ الحُسَيْنِ

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 64.

² - المصدر نفسه، ص103، ص104.

تكرر لفظ الجلالة "الله" في هذه الابيات عدّة مرات ، حيث إستخدم الشاعر هذه الكلمة لعظمتها فلم يجد أقوى وأعظم من هذه الكلمة ليعبر عن مدى إعجابه ببغداد .

ث - الحقل الدلالي الخاص بالعبودية

وظف الشاعر في هذا الديوان عدة ألفاظ تدل على العبودية مثل : (العبيد، المجاعة، الانعتاق، الطغاة...) يحتل الحقل الدلالي العبودي حيزا في معجم الشاعر اللغوي، فليس غريبا أو مستبعدا بروز هذه المفردات عند الفيتوري بهذه الصورة الكثيفة بإعتباره الشاعر الذي إنبرى للدفاع عن أمته الأمة التي مازالت تحت وطأة الإستعمار الغاشم،⁽¹⁾. ويتحدث الفيتوري عن هذا الوضع في قصيدة "وقال مسعود الحكيم، حيث يقول فيها:²

كَانَ يَا مَكَانَ

فِي الزَّمَنِ الطَّرِيحِ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ

كَانَ فَتَى مِّنَ الصَّحْرَاءِ

يَدْخُلُ ظِلَّ خَيْبَةٍ وَيَحْتَمُ

كَانَ يَحْتَمُ

كَانَ يَحْتَمُ

¹ - ينظر: سلطان عيسى الشعار، التراث في شعر محمد الفيتوري (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية و آدابها، الكرك، الأردن، 2007، ص36.

² - محمد الفيتوري ، يأتي العاشقون إليك، ص 68، ص 69.

ثُمَّ تَمَّتْ عَلَى الْآفَاقِ فِي عَيْنِيهِ

رُؤْيَا الْإِنْعِتَاقِ

صور الشاعر في هذا المقطع الشعري مشهدا لفتى يعاني مرارة العبودية ويحلم بالإنعتاق،

والتحرر من عبوديته.

ويقول في قصيدة أخرى: (1) .

أَوْ لَا تَزَالُ الْأَرْضُ تَحْبَلُ بِالْعَبِيدِ

وبالطغاة

أَوْ لَا يَزَالُ يُجُوسُ عِبْرَ حُقُولِ عَيْنِيكَ

النَّبِيُّونَ الرَّعَاهُ

أَوْ لَا يَزَالُ الْعَادِلُونَ هُمُ الْخَطَاةُ!

قَوْمِي إِذْنِ وَتَوْشِحِي

بِرِدَائِكَ الْقُدْسِي

وَأَمْتَلِي إِلَى قَدْرِ الْإِلَهِ

قَوْمِي فَقَدْ عَادَ الدَّمُ الْهَمْجِي

يَغْلِي فِي شَرَابِيِنِ الْحَيَاةِ

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك"، ص111، ص112.

يقوم الشاعر هنا بالدعوة إلى القيام بالثورة والانقلاب سعياً إلى تغيير المصير والتخلص من الظلم والإضطهاد المعاش، فالأرض ولادة للخير والشر في كل زمان ومكان وأيضاً ولادة للظلم والعدل، فمهما إشتد الظلم فمصيره الزوال في يوم من الأيام.

ج- الحقل الدلالي الخاص بالأمكنة

ذكر الفيتوري في هذا الديوان عدة أمكنة وبلدان مختلفة، حيث إشمتمل الديوان على عدد من أسماء الأعلام منها (فلسطين، البصرة، بغداد، العراق، بوخارست، باريس، فزان ...)، يقول في قصيدة الرياح: (1).

إني رأيتُ سقوطَ الإله

الذي كَارَفِي بُ وَخَارِسْت

كَمَا لَوْ وَهَى بُ رُجِ إِيْفَلْ فِي ذَاتِ يَوْمِ

كَمَا لَوْ طَغَى نَهْرُ السِّينِ

فَوْقَ حَوَائِطِ بَارِيسِ

كَانَ حَرِيقُ الإِلهِ الَّذِي

مَاتَ فِي بُوخَارِسْتِ عَظِيمًا

وَكَانَ الرَّمَادُ عَظِيمًا

وَسَالَ دَمٌ بَارِدٌ فِي التَّوَابِ.

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص ص 19، وما بعدها.

وأُوصِدَ باب

وورِبَ باب

ولكنّ ثمةً في بوخارست بلادي أنا

لا تزول الطواغيتُ

أقنعةً تشركُ اللهَ في خلقه

فهي ليستُ تشيخُ

وليست تموت !

يحاول الشاعر هنا إبراز هويته كشاهد على الأحداث، فيُوضح الحالة التي وصلت إليها بلاده

(بوخارست) من ظلم القائمين عليها كالحكام واصفا إياهم بالطواغيت.

يقول الفيتوري في قصيدة إنها مصر .. : (1)

لا ترتجفُ عيناكُ

إنّ الصوّءَ مسكوبٌ على الأشياءِ

والصوّرةُ في تموجِ العينينِ لا ترتجفُ

ها هي ذي الأرضُ

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص46، ص47.

التي تمتدُّ في خارطةِ الدنيا

وهذا نيلك الإلهيَّ اليبين

أعمدةُ التاريخ

والأهَامُ سقْفُ الكون

والأزهرُ في جَلْبِيهِ الضَّافِي

وقبَّةُ الحسين...¹

ذكر الفيتوري هنا عدة أماكن موجودة في مصر وهي: نهر النيل، الأهرام، جامع الأزهر، قبة

الحسين. « كان للمكان نصيب وافر في شعر الشعراء فحضي بمكانة كبيرة متميزة »:¹

نلاحظ تعدد الحقول الدلالية في الديوان بإعتبار هذه النظرية « من أهم النظريات التي تجمع

بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية لألفاظ القصيدة »². فليس بإستطاعة المتلقي فهم كلمات

القصيدة دون اللجوء إلى الإعتداد على الدلالة السياقية ومعرفة الظروف المحيطة بالشاعر. وقد

« كشف إستعمال الشاعر للعديد من المفردات أنه لا يقصد بها دلالاتها المعجمية الحقيقية التي

وضعها لها المعجم، وإنما يهدف إلى دلالات أخرى سياقية إستدعاها السياق العام الذي قيلت فيه

القصيدة »³.

¹ يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ط1، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 2007، ص7.

² إيمان جربوع، مديح الظل العالي لمحمود درويش، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، 2010م، ص 170.

³ المرجع نفسه، ص170.

إنّ الألفاظ التي إستعملها الشاعر محمد الفيتوري تحمل دلالات بعيدة، كان يهدف من خلال هذا الإستعمال إلى توعية المتلقي بحالة إفريقيا والأمة العربية .

الفصل الثاني : الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان

"يأتي العاشقون إليك"

المبحث الأول : الأبعاد الفنية

أولاً: الإنزياح الأسلوبي

ثانياً: الخيال والتصوير الفني

ثالثاً: الرمز والأسطورة

المبحث الثاني : الأبعاد النفسية

أولاً: الذاتية

ثانياً: الحرية والزنوجة

ثالثاً: الحنين

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

المبحث الأول: الأبعاد الفنية

أولاً: الإنزياح الأسلوبي

يعدّ الإنزياح من أهم مميزات لغة الشعر، كونه يضيف على القصيدة التميز والتفرد والتأثير والإدهاش، أما الإنزياح كمصطلح فيرى عبد السلام المسدي أنه: « ترجمة للفظة "ECART" وعلى هذا المفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز»⁽¹⁾. وجاء في معجم العين للخليل: « نزح، نزحت الدار نزوحاً، أي بعدت، ووصل نازح أي بعيد. »⁽²⁾

وينقسم الإنزياح إلى نوعين وهما:

❖ **الإنزياح الاستبدالي.** وهو ما يمثل الإنزياح الدلالي حيث يعد هذا النوع من الإنزياح

الأكثر استخداماً، يظهر في المحسنات المعنوية كالإستعارة والتشبيه والكناية.

❖ **الإنزياح التركيبي.** وهو ما يمثل الإنزياح اللغوي وهذا النوع من الإنزياح يتمثل في التقديم

والتأخير والحذف.

1- الإنزياح الاستبدالي.

أ- **الإستعارة :** عند علماء البيان «إستعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى

المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي»⁽³⁾.

¹-عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، ط3، دار العربية للكتاب، الإسكندرية ، مصر، د.ت، ص162.

²-الخليل أحمد الفراهيدي، معجم العين،باب النون، الجزء4، تح:د/عبد الحميد هندأوي،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص210.

³-السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،تح: يوسف الصميلي، ط1،المكتبة العصرية صيدا، بيروت،1999، ص258.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

والإستعارة كثيرة الورد في هذا الديوان.

يقول محمد الفيتوري في قصيدة "يأتي العاشقون إليك يا بغداد":⁽¹⁾

هذا المساء

كأنّ ثمة من يرفع غيمة مثقوبة

فهذه العبارة إنزاحت عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي، حيث جعل الشاعر الغيمة مثقوبة

وكأنّ هناك أحدا يرقعها، فالأصل أننا نرفع الثوب أو الملابس المثقوبة لا الغيمة.

ويقول أيضا في قصيدته: "وقال مسعود الحكيم":⁽²⁾.

كان يا مكان

في الزمن الطريح على فراش الموت

في هذين البيتين نلاحظ أن الشاعر إنتهك قانون اللغة المعيارية وذلك في قوله: (الزمن

الطريح على فراش الموت) حيث شبه الزمن بإنسان طريح الفراش على وشك الموت فحذف المشبه

وترك عبارة (الطريح على فراش الموت) لتدلنا عليه وهذا على سبيل الإستعارة المكنية وبهذا الخرق

للغة أعطى الشاعر للعبارة أدبيتها .

يقول أيضا في قصيدته "بقدر ما تسع السماء":⁽³⁾.

وبغداد التي صبغت ضفائرها بلون النار

¹ - محمد الفيتوري ، يأتي العاشقون إليك، ص134.

² - المصدر نفسه، ص 68.

³ - المصدر نفسه، ص 110، ص 111.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

تجتاز المخاض وحيدة

وكأنها هي في صلاة

إعتمد الشاعر في هذه الأبيات على عنصر التشخيص حيث جعل بغداد امرأة، ففي البيت الأول في قوله (بغداد التي صبغت صفائرها) شبه بغداد بإمرأة فجاء بفعل (صبغت) الذي يخص المرأة ليدلنا عليها، وكذلك في قوله (تجتاز المخاض وحيدة)، فالمخاض يخص المرأة الحامل التي حان موعد ولادتها ثم في البيت الثالث يواصل التشبيه ويقول وكأنها في صلاة فالإنسان عندما يصلي يخشع لله تعالى ويناجيه .

فبهذه العبارات تجاوز الشاعر قواعد اللغة ودلالاتها المعجمية إلى دلالات إيحائية وهذا التجاوز يثير ذهن المتلقي.

ب- التشبيه:

إنَّ التشبيه يكسب المعنى جمالا ووضوحا وهو عند علماء البيان: «مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة، كقولك العلم كالنور في الهداية ... فالعلم مشبه والنور مشبه به، والهدايا وجه الشبه، والكاف أداة التشبيه»⁽¹⁾.

ومن التشبيهات التي وظفها محمد الفيتوري قوله في قصيدته "إلى نيلسون مانديلا":⁽²⁾.

يا أبنوس الخريف الجنوبي

كيف يكون جلال الشهادة

¹ - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 219.

² - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص 38.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

إن لم تكن أنت !

تولد في الموت

تكبر في الموت

تطلع حقل نجوم على حائط الموت.

في البيت الأول شبه الشاعر مخاطبه (مانديلا) بالأنبوس وهو نوع من الأشجار يتميز بخشبه الأسود الذي يستعمل لصناعة الأثاث الفاخر وينمو هذا النوع من الأشجار في إفريقيا⁽¹⁾. فحذف أداة الشبه ووجه الشبه وهذا على سبيل التشبيه البليغ، ووجه الشبه بين مانديلا والأنبوس هو اللون الأسود الذي يميزهما وكذا أصولهما الإفريقية، فهذا التشبيه الذي إعتده الشاعر غاية في الغرابة والإدهاش، لأنه تعودنا أن الشعراء العرب حينما يصفون أو يمدحون شخصية معينة يصفونها بالشجاعة، والقوة، والجمال ... لكن هذا الشاعر أتى بشيء مغاير وجديد.

يقول الشاعر في "قصيدة ليس طفلا وحجارة":⁽²⁾.

مثل شحاذ تقوست طويلا

في أقاليم الضباب

وكزنجي من الماضي

تسمرت وراء الليل منقوب الحجاب

¹ - ينظر: أنبوس موسوعة المعرفة WWW.marefa.org

² - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص57.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العشاقون إليك "

يظهر الإنزياح بشكل واضح في هذين البيتين، ففي التشبيه الأول شبه مخاطبه (طفل الحجارة) بالشحاذ فذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه (مثل) وحذف وجه الشبه وهذا على سبيل التشبيه المرسل المجمل، ولعل وجه الشبه الذي أراده الشاعر هنا هو طول الانتظار.

أما في التشبيه الثاني فشبه مخاطبه (طفل الحجارة) بزنجي من الماضي وأظن هنا أنه يقصد نفسه، فذكر المشبه والمشبه به، وأداة التشبيه (الكاف) وحذف وجه الشبه، ولعل وجه الشبه الذي أراده الشاعر هو التستر.

فالفيتوري في صغره كان يكره لونه الأسود ويشعر بدمامته يقول في مقدمة ديوانه: «عندما كنت طفلاً ... حينذاك كنت لا أرى من الإنسان إلا لون الإنسان ... قشرته الخارجية هي وحدها إشارة وضعه الطبقي، وهي الحاجز الفاصل بين قيمته ومحتواه، وبين قيم ومحتويات الآخرين»⁽¹⁾. ثم يواصل حديثه إلى غاية قوله: «ربما كان مرد ذلك كله إلى إفتقاري للوعي الصحيح»⁽²⁾.

فهذا ما كان يقصده الفيتوري بزنجي من الماضي، أي عندما كان يكره لونه الأسود وكان ينتظر الليل ليختبئ ويستتر وراءه ، ففي الليل لا يظهر لون بشرتنا، فيصبح الناس كلهم سواسية فالشاعر هنا قد خرج من القيود القديمة وخرق حواجز اللغة المعيارية ليثير ذهن المتلقي ويدفعه للبحث وفك الشفرة.

¹ - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العشاقون إليك، ص 5.

² - المصدر نفسه، ص 5.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

ت- الكناية:

الكناية تعبير لا يقصد منه المعنى الحقيقي وإنما يقصد به معنى ملازم للمعنى الحقيقي وعرفها السيد أحمد الهاشمي في قوله: «الكناية لغة: ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره وهي مصدر كنيْتُ أو كنوتُ بكذا عن كذا وإذا تركت التصريح به. واصطلاحاً: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى»⁽¹⁾.

يقول الشاعر في قصيدة: "ليس طفلاً وحجارة": ⁽²⁾.

إنَّه الأرض التي لم تخن الأرض

وخانتها الطرابيش

وخانتها العمائم

في هذه الأبيات كناية عن موصوف وهي (الحكام العرب) فالمعنى الحقيقي هنا ليس مقصوداً وهو خيانة الطرابيش وخيانة العمائم، وإنما يقصد المعنى الخيالي الملازم لذكر هذه العبارة الذي يتولد ويظهر في ذهننا من (الحكام، الرؤساء ، ...) وما شابه ذلك من المعاني حسب سياق الحديث.

يقول أيضاً في قصيدة "إلى نيلسون مانديلا": ⁽³⁾.

مانديلا

¹ - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 282.

² - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك. ص 55.

³ - المصدر نفسه، ص 43.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

أيها البطل الشيخ

مغتسلا بمياه الثمانين

في هذه الأبيات كناية عن نسبة وهي (ثمانيني العمر) فالمعنى الحقيقي ليس مقصودا وهو
مغتسل بمياه الثمانين وإنما يقصد المعنى الخيالي الملازم لذكر هذه العبارة وهو (عمرٌ مانديلا).

يقول الفيتوري في قصيدة "هوانا":⁽¹⁾.

عرب .. لا أمضغ الملح، ولا

أكسر السيف بعيني مهانا

فأنا أعرف أن الروح من

روحنا نحن .. وأنّ الكون كان

وأنا أعرف أن الشمس في غيبة ثم تعود الدورانا

ففي هذه الأبيات عدّة كنايات منها : قول الشاعر (عرب ... لا أمضغ الملح) فالمعنى الحقيقي
هنا غير المقصود وهو مضغ الملح أما المعنى البعيد المراد هو (العشرة)، أي لا يهون عليه الخبز
والملاح كما يقال عند العرب (أكلنا من ملح داركم) أي أصبحت بيننا عشرة لا تهون علينا.

وفي قوله (لا أكسر السيف بعيني مهانا) فالمعنى الحقيقي غير المقصود هو كسر السيف،

في حين المعنى البعيد الذي أراده الشاعر هو (الاستسلام والجبين).

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 119.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العشاقون إليك "

في البيت الثالث في قوله (أعرف أن الروح من روحنا نحن) كناية عن (الانتماء) . وفي قوله (وأن الكون كان) كناية عن (الزوال).

وفي البيت الرابع في قوله (أنا أعرف أن الشمس في غيبة ثم تعود الدورانا) كناية عن (الحرية والاستقلال)، يرى أنه مهما طال الزمن فمصير فلسطين أن تتحرر من الإستعمار الظالم.

بإعتماد الشاعر على الكناية جعلنا نرى ما نعجز عن التعبير عنه واضحا ملموسا كالأمور المعنوية (العشرة، الإستسلام، الجبن، الإلتواء ...) ، وتمكننا من التعبير عن أمور كثيرة فهي تبرز المعاني في صورة نشاهدها وترتاح نفسنا إليها.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

2: الانزياح التركيبي:

أ - التقديم والتأخير:

يعد التقديم والتأخير من أهم البنى الأسلوبية حيث «نجد نوعا من التصرف المقصود عن طريق التقديم والتأخير في ترتيب الجملة الطبيعي فإن ذلك يؤثر في بنية التشكيل وما يترتب عليها من الإيحاء والدلالة»⁽¹⁾.

يقول محمد الفيتوري في قصيدة "ركعتان للعشق تحت شمسها"⁽²⁾:

تتعاكس المرأة في شفق الغروب لديك

تتحت صورة حجرية لمدينة في الليل تبني

معبدًا لغرائب الأسرار والفوضى

عمد الشاعر في البيت الأخير إلى تقديم نعت (غرائب) على منعوتها (الأسرار) وبهذا التقديم خالف الترتيب المعمول به في اللغة المعيارية: المنعوت ثم النعت، فالأصل هو (الأسرار الغريبة).

ويقول أيضا في قصيدة "الرجل المنحدر تحت الصنوبر"⁽³⁾:

يولد الزمن المتمرد في رحم البطل العبقرى ..

¹ - عايدى علي جمعة، شعر خليل حاوي، دراسة فنية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2006، ص 35.

² - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص 100.

³ - المصدر نفسه، ص 146.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

وتجهض حين المخاض، بطون الزواحف

في البيت الثاني قام الشاعر بقلب النظام الجملي فقدم المفعول فيه على الفاعل والأصل في

لغة المعيار الفعل + الفاعل + المفعول، أي (تجهض بطون الزواحف حين المخاض).

ويقول أيضا: في قصيدة "إنها مصر.." (1).

لماذا إنفطرت سباتك الفضة في الأرض

وقصت شعرها الشمس

فقد قام الشاعر بتقديم المفعول به (شعرها) على الفاعل (الشمس) والأصل هو : وقصت

الشمس شعرها .

يقول الفيتوري في قصيدة "الرياح" (2).

سماءٌ تكاد تسيل إجمراً

وأيد مقوسة تتعانق خلف الغيوم

وأجرة من ترابالند جوم

تظل تبعثرها الريح ..

خلف مدارك !

1 - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 49.

2 - المصدر نفسه، ص 25.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

قدم الشاعر في البيت الأول إسم كاد (السماء) على فعل المقاربة (كاد) العامل عمل (كان) حيث يدخل على المبتدأ والخبر فيرفع المبتدأ ويسمى إسمه وينصب الخبر ويسمى خبره. وخبره لا يكون إلا جملة فعلية فعلها مضارع. فالأصل هو : كادت السماء تسيل إحراراً.

ب- الحذف :

ويعد أحد أنواع الإنزياحات التركيبية :

يقول محمد الفيتوري في قصيدة "مقام في مقام العراق":⁽¹⁾.

غائبٌ ..

والعيون عليك إشتياق

هائمٌ

خمركَ الذكريات العتاق

حذف الشاعر في البيت الأول والثالث المبتدأ (أنت) وكان يهدف من وراء هذا الحذف إلى إثارة القارئ وبث الحيرة في ذهنه وجعله يتساءل: من الغائب؟ ومن الهائم؟ ، وذلك قبل قراءة البيت الثاني والرابع، وهذا الحذف يثير ذهن القارئ ويشوقه للحصول على الجواب، وبهذا إنزاح الشاعر عما هو مألوف.

يقول أيضا في قصيدة: إلى فتحي سعيد⁽²⁾.

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص88.

² - المصدر نفسه، ص84.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العشاقون إليك "

مليء بأفاق البكاء

قصائدي عليك سجينات

يطوقنني حزنا

قام الشاعر في البيت الأول بحذف المبتدأ (أنا) ، وعدم إشارته للمبتدأ يحو القارئ ويجعله

يتساءل من المليء بأفاق البكاء ؟ ويجعله متلهفا لمعرفة الإجابة على تساؤله وبهذا يكون الشاعر

قد حقق هدفه وهو إثارة المتلقي.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

ثانيا - الخيال والتصوير الفني

يعد الخيال أداة الصورة الفنية التي تعتبر أحد جوانب الصياغة الجمالية المولدة للمعنى في العملية الإبداعية، فبواسطة التصوير يتم إستنتاج المعاني الكامنة في الذهن وإخراجها إلى الواقع المادي في تعبير مميز يجعل «الصورة المجازية تحل محل مجموعة من العبارات الحرفية تتساوى معها في الدلالة، ولكن خصوصية الصورة المجازية تتجلى في أنها لا تقود المتلقي إلى الغرض مباشرة مثلما تفعل العبارات الحرفية، وإنما تنحرف به عن الغرض وتحاوره وتداوره بنوع من التمويه، فتبرز له جانبا من المعنى وتخفي عنه جانبا آخر، حتى تثير شوقه وفضوله فيقبل المتلقي على تأمل الصورة المجازية وإستنباطها وعندئذ ينكشف له الجانب الخفي من المعنى»⁽¹⁾.

وإذا حاولنا تتبع وسائل تشكيل الصورة التي إستخدمها محمد الفيتوري فيمكن حصرها كما يلي :

1 - التشخيص

يتمثل أسلوب التشخيص في أن يأتي المتكلم بصفة من صفات الأشخاص ويلصقها على جامد أو على شيء ليس من الأشخاص. «التشخيص (تجسيد) Personification تعبير بلاغي يسبغ فيه على التجريدات والحيوانات والمعاني والأشياء غير الحية شكلا وشخصية وسمات إنفعالية إنسانية وفي التشخيص قد يعبر كائن أو شخص من نسج الخيال ممثلا لفكرة أو موضوع ولكون التشخيص نوعا من الإستعارة نجده منبععا مطروقا في الشعر كما يظهر في أنواع أخرى في الكتابة الأدبية»⁽²⁾.

¹ - جابر عصفور، الصورة الفنية، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1992، ص226، ص227.

² - إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العالمية للناشرين المتحدين، تونس 1986، ص 85.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

يقول محمد الفيتوري في قصيدة "المتنبي" (1).

وقلت بغداد

يا بغداد أي الفتى كان الفتى ..

وهو في عينيك يزهر

أنتِ التي إخترته للعشق ..

كان إذا رآك في لهب الأحداث

ينفجر

ينادي الشاعر بغداد ويخاطبها ويجعل لها عينين ويمنحها صلاحية الإختيار، فالفيتوري

شخص بغداد وأعطى لها صفات إنسانية.

يقول أيضا في قصيدة "يأتي العاشقون إليك" : (2)

يأتي الشعر والشعراء

في زمن إنشطارِ الضوء يأتي الشعر والشعراء

شاخصة نواظرهم إلى بغداد

كعبتنا التي سجدت على عتباتها

¹ - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص 80.

² - نفس المصدر، ص 140.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

شمس المجوس

شخص الشاعر الشمس وجعلها تسجد على عتبات بغداد، فالإنسان هو الذي يسجد لله تعالى غير أن الفيتوري منح هذه الصفة للشمس.

يقول أيضا في قصيدة "إلى فتحي سعيد" : (1).

ويا مصر يبقى ضوء وجهك باهرا

مداه ..

وصوت الحق في صوتك الأسنى

وتبقين أما ..

كلما تاه عاشق، وأوغل في مسراه

كنت له حضنا

شخص الشاعر مصر وخاطبها بما يخاطب به العاقل، مستخدما أداة النداء (يا) وذلك إجلالا لمصر، حيث جعل لها وجهها وصوتا وجعلها أما وجعل لها حضنا أيضا، صورها لنا في صورة إنسان.

2- المزج بين المتضادات.

يعتبر التضاد إحدى البنى الأسلوبية التي تثري النص الشعري بعنصري الإثارة والتوتر، « إنَّ البذرة التي تنبت الزهرة هي نفسها التي تنبت شوكتها، ففي عمق الحياة تختلط الأشياء في تآلف

¹ - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص 86.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

عميق، والشاعر يستطيع أن ينفذ من خلال نثرات الواقع وتناقضاته إلى لبابه وعمقه هو ليس مطالباً بالوقوف عند الحدود الفاصلة بين أجزاءه، وإنما له الحق في الإتيان بالشيء ونقيضه معا»⁽¹⁾.

باستعمال الشاعر للتضاد كسر رتبة النص وجموده وأثار المتلقي وذلك منطلق العملية الإبداعية المرتكزة على عمق الوجدان ولمكانية تجاوز تناقضات الحياة.

يقول محمد الفيتوري في قصيدته ليس طفلاً وحجارة : ⁽²⁾.

إنه ليس طقس حضارة

إنه إيقاع شعب وبلاد

إنه العصر يغطي عريه

في ظل موسيقى الحداد

في البيت الأخير ذكر الشاعر عبارة (موسيقى الحداد)، فجمع بين كلمة موسيقى التي تحيل إلى الفرح والسعادة والإستقرار النفسي، وكلمة الحداد التي توحى بالحزن والقرح والألم، وكذا جمع بين الغطاء والعري في جملة واحدة .

يقول في قصيدة الرجل المنحدر تحت الصنوبر: ⁽³⁾.

صوت عذاب الملايين

¹ - علي جمعة عايدي، شعر خليل حاري، ص55.

² - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص 54.

³ - المصدر نفسه، ص 147.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

محتجة في عويل الأغاني

جمع الشاعر هنا بين كلمتين (عويل، الأغاني) فالعويل هو البكاء بصراخ مرتفع وعادة يحدث

هذا في الجنائز، أما الأغاني فتدل على الفرح.

يقول محمد الفيتوري في قصيدة "رؤيا":⁽¹⁾.

خارجا من غيابك ..

لا قمر في الغياب ..

ولا مطر في الحضور ..

مثلما أنت في حفلة العرس والموت

في عبارة (حفلة العرس والموت) جمع الفيتوري مرة أخرى بين متضادين متناقضين، ففي حفلة

العرس وعندما يتزوج الإنسان يكون قد بدأ حياته مع شريك إختياره ليكمل معه ما تبقى من عمره،

بينما لفظة الموت تدل على إنتهاء الحياة وزوال الإنسان.

يقول في قصيدة "المتبّي":⁽²⁾

وقلت بغداد

يا بغداد أي فتى كان الفتى

وهو في عينيك يزدهر

¹ - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص 151.

² - المصدر نفسه، ص 80.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

أنتِ التي إخترته للعشق..

كان إذا رآك في لهب الأحداث

ينفجرُ

ويحرث الأرض كالمجنون..

يحرثها براحتين هما الإحباطُ والظفرُ

جمع الفيتوري بين المتناقضين (الإحباط) وهو الفشل والإخفاق في تحقيق الهدف المرجو

تحقيقه، (والظفر) وهو الفوز بالشيء والحصول عليه وتحقيق المراد.

فالملاحظ أنَّ الفيتوري وفي عدة مواضع من الديوان يجمع بين لفظتين متضادتين ، واحدة

توحي بالفرح والسرور والسعادة والراحة والفوز، وأخرى توحي بالحزن والقرح والأوجاع والآلام

والإخفاق. وجمعه لهذين المتضادين خلق صورة فنية منسجمة، « ففي لحظة نجد أنفسنا في عالم

تتلاشى فيه التناقضات منصهرة في كيان واحد بالشعور الذي أحسها به الشاعر، والتصميم الذي

ربط فيما بينها»⁽¹⁾ . وهذا ما لمسناه في هذا الديوان.

¹ - مجموعة من المؤلفين، اللغة الفنية، تعريب محمد حسن عبد الله، ب.ط، دار المعارف، القاهرة، مصر، ب.ت، ص58.

ثالثا- الرمز والأسطورة

1- الرمز

يستعمل الشاعر المعاصر عدة أدوات في خطابه الشعري ليزيد من جمال عمله الإبداعي، ومن أبرز الظواهر الفنية التي تشد نظرنا إليها في « تجربة الشعر الجديدة الإكثار من استخدام الرمز والأسطورة كأداة للتعبير، وليس غريبا أن يستخدم الشاعر الرموز والأساطير في شعره، فالعلاقة القديمة بينهما وبين الشعر ترشح لهذا الاستخدام، وتدلل عندئذ على بصيرة كافية بطبيعة الشعر والتعبير الشعري، ولكن التأمل في طبيعة الرموز والأساطير التي يستخدمها الشعراء المعاصرون وفي طريقة استخدامهم لها يدعو دعوة ملحة إلى الإهتمام بهذه الظاهرة إجمالا»⁽¹⁾.

يعد الشاعر محمد الفيتوري من الشعراء المعاصرين الذين وظفوا الرمز في أشعارهم حيث ساهم هذا الأخير في الكشف عن تجربة الفيتوري الشعورية. من الرموز التي إستعملها :

أ - الطبيعة :

إن استخدام الشاعر لهذا النوع من الرمز ناتج عن تأثره العميق بالطبيعة ، وقد إستوحى منها عناصر تجربته الشعرية « فعندما يستخدم الشاعر كلمات مثل (البحر، الريح، القمر، النجم ...) فإنه يستخدم عندئذ كلمات ذات دلالة رمزية، وربما كانت بعض هذه الدلالات -على الأقل- مشتركة بين معظم الناس، ولكن إستخدامه لها لن يكون له قوة التأثير الشعري ما لم يحسن الشاعر إستغلال العلاقات أو الأبعاد القديمة لهذا الرمز وما لم يضيف إلى ذلك أبعاد جديدة»⁽²⁾

¹ - عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص195.

² - نفس المصدر، ص198.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

وكان إستخدام الرمز الطبيعي عند الشاعر السوداني محمد الفيتوري واضحا في ديوانه ، حيث يقول

في قصيدة "التراب المقدس" : (1)

وسد الآن رأسك

فوق التراب المقدس

واركع طويلا لدى حافة النهر

ثمة من سكنت روحه شجر النيل

ودخلت في اللجى الأبنوسي

أو خبأت ذاتها في نقوش التضاريس

ثمة من لامست شفثاه

القرايين قبلك

مملكة الزرقة الوثنية

قبلك

عاصفة اللحظات البطيئة ...

قبلك

طقس الوجوه المدلاة في مهرجان المشانق

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص29، ص30.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

قبلك

يا أيها الطيف منفلتا من عصور الرتابة والمسح

ماذا ورائك

في كتب الرمل ؟

ماذا أمامك؟

في كتب الغيم

إلا الشموس التي هبطت في المحيطات

والكائنات التي إحدرت في الظلام

وامتلاؤك بالدمع

حتى تراكمت تحت تراب الكلام.

في هذا المقطع الشعري إستخدم الفيتوري ألفاظاً من الطبيعة « والشاعر المعاصر في تعامله الشعري مع عناصر الطبيعة إنما يرتفع باللفظة الدالة على العنصر الطبيعي كلفظة المطر مثلاً، من مدلولها المعروف إلى مستوى الرمز لأنه يحاول من خلال رؤيته الشعرية أن يشحن اللفظ بمدلولات شعورية خاصة وجديدة.. »⁽¹⁾. وكل لفظة ترمز إلى شيء معين. فنهر النيل رمز وطني وكيان كبير في العالم العربي، واستعمال الشاعر هذا الرمز يرجع إلى صلته وتعلقه الكبير بمصر، وكذلك كلمة (الشموس) جمع الشمس ترمز إلى الحرية، فعندما تشرق الشمس يرجع الأمل.

¹ - عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص219.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

وعند قراءة ديوان "يأتي العاشقون إليك" نلاحظ أن معظم قصائده تتشكل من ألفاظ مستوحاة من الطبيعة، باعتبار الطبيعة المصدر الأول لإبداع الشاعر المعاصر ورصد أعماله الفنية والإبداعية، يقول الفيتوري: (1)

سلام لإرتعاشات الأيدي والمناجل

لحائط الصفصاف والكافور

والحور، وأمواج المشاعل

لبحه الناي

وأهات الأراغيل

وإيقاع الجداول

لقامة سمراء، يكسوها الصبا الحلو

وخلخال يغازل

لوجه فلاح عن التربة

والتاريخ، والحب يقاثل

وللعصافير التي تجري مع الأطفال

في عيد السّابل

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 51.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

إنخذ الفيتوري من الرمز الطبيعي سبيلاً لتوحيد الذات بالعالم والتعبير عن دلالات تجربته بإستنباطه لطاقت هذا الرمز وشحنه بمحملاته الشعورية والفكرية .

ب - الشخصيات

إستخدم الشعراء المعاصرون شخصيات من نسج خيالهم، وكذا الشخصيات التاريخية وذلك لما تتميز به هذه الشخصيات من أقوال وأفعال « والرمز التاريخي له ملامح خاصة عند الفيتوري، حيث أن التاريخ عنده يتجه في مسارين:

- مسار الأمة العربية الزاخرة برموزها

- مسار الأمة الإفريقية العابقة بزئوجتها

وحيئنذ فإن دائرة الرؤية عند الشاعر تأخذ على عاتقها إحتواء تاريخ أمتين «(1).

وقد إستعمل الفيتوري عدد من الشخصيات في ديوانه ، نذكر منها :

*- شخصية مسعود الحكيم :

في أول الأمر يجب الإشارة إلى أن قصيدة "وقال مسعود الحكيم" موجهة للقائد الليبي "معمر القذافي" ، وشخصية مسعود الحكيم هي من نسج خيال الشاعر « مسعود الحكيم هو الإنسان البسيط الفقير العادي الذي قامت الثورة بزعم أنها قامت لتحسين واقعه، القصيدة حوار بين مسعود الحكيم الذي هو الشاعر الناطق بإسم شعبه وبين القائد الآتي بإسم المستقبل والتغيير».(2)

¹ - ينظر: سلطان عين أشعار، التراث في الشعر الفيتوري، ص62.

² - غريد الشيخ، أيام مع الفيتوري، سلسلة أيام معهم 3، ص91.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

يقول الفيتوري في هذه القصيدة : (1).

قال مسعود الحكيم :

-الشمس زهرتنا التي إنسكبت على جسد الجنوب

وأنت زهرتنا التي إنسكبت على أرواحنا

فادفع شراعك صوبنا

كي لا تضيع..!

مسعود الحكيم « يتوجه بكلامه إلى القائد، والجنوب الليبي هو الجنوب الإفريقي الأسود من

ليبيا » (2) ، فمسعود الحكيم هو الرمز المعبر عن طموح الشعب وآماله .

* هولوكو :

يعد هولوكو أحد الشخصيات التاريخية، فهو حاكم مونغولي إحتل معظم بلاد جنوب غرب

آسيا، بعد أن قتل الملايين من أهلها، بقيادته إجتاح المونغوليون بغداد عام 1258م (3). فهو رمز

للتهديدات التي تترصص بالأمّة، وبتخير الشاعر عباراته بعناية للتعبير عن هول الكارثة التي تهدد

الأمّة. (4)

ويتحدث عنه الفيتوري في قوله: (5)

1 - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص63، ص64.

2 - رغيد الشيخ، أيام مع الفيتوري، ص100.

3 - ينظر، هولوكو خان، ويكيبيديا الموسوعو الحرة، <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

4 - ينظر: سلطان عيسى الشعار، التراث في شعر الفيتوري، ص72.

5 - محمد الفيتوري، المصدر نفسه، ص112.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

عاد حفيد هولالكو

يحاصر نينوى بجيوشه

ويسد أبواب البحار

ونينوى مدينة أثرية قديمة تقع في بلاد الرافدين العراق . (1)

* - المتنبى

يصل الفيتوري « إلى الذات العربية في طور إكمالها من خلال أحد رموزها الفاعلين » (2)

وهو المتنبى، يقول الفيتوري في قصيدة " المتنبى " (3)

كانوا ملوكا على أرض ممزقة

يجوع فوق تراها النبات والبشر

كانوا ملوكا ممالكا وأعظمهم تحت السماوات

من في ذلك استنروا

ورحتَ تنفخُ فيهم منكَ

ترفعهم، فيسقط البعض

أو تبني فينكسر

¹ - ينظر : نينوى، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

² - ينظر: فتحي عبد الله، شاعر الثورات المغدورة، مجلة الدوحة العدد 84، أكتوبر 2014، تصدرها وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ص 68.

³ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 76.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

أردت تخلق أبطالاً، تعيد بهم

عصر النبوة والرؤيا، فما قدروا

هنا يبرز الفيتوري مكانة المتنبي العظيمة في الأدب العربي.

ت - الحيوان

استعان الفيتوري بعدد من الحيوانات والحشرات ليرمز بها إلى صفات معينة، و ذلك لما تتميز به هذه الحيوانات من سمات، ومن الحيوانات التي نجدها حاضرة في هذا الديوان: الصقر، الفراشة، الطاووس، الذئب، نحلة...

يقول الشاعر : (1)

مرت وأنت فراشة عمياء ...

تحترف التآكل والزوال.

ترمز الفراشة إلى التضحية بالذات في سبيل الآخرين.

ويقول أيضا عن الصقر: (2).

عرب نحن .. وهذا دمنا

يتحدى في فلسطين الهوانا

عرب رايتنا وحدتنا

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 131.

² - المصدر نفسه، ص 119.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

حلقت صقرا وحطت فوق سمانا

إستعمل الشاعر هنا الصقر ليرمز إلى الشجاعة، والكبرياء، والعزة، والحرية، فهو يرمز لعزة الأمة وسيادتها.

إنّ حضور الرمز في هذا الديوان زاد من وضوح التجربة الشعرية، وأعطى قيمة فنية لهذا العمل الإبداعي، فالفيثوري بإستخدامه للرمز عبر عن وصوله لمرحلة الفن والإبداع في تجربته.

2- الأسطورة

إستعمل الفيثوري الأسطورة كوسيلة لنقل تجربته الشعرية والتعبير عن واقعه المعاش بطريقة فنية، « ويعدّ إستغلال الأسطورة في الشعر العربي الحديث من أجراً للمواقف الثورية فيه، وأبعدها آثارا حتى اليوم، لأنّ ذلك إستعادة للرموز الوثنية وإستخدام لها في التعبير عن أوضاع الإنسان العربي في هذا العصر، وهكذا إرتفعت الأسطورة إلى أعلى مقام»⁽¹⁾.

وقد إستمد الشاعر محمد الفيثوري عامة الأساطير التي وظفها في ديوانه من التاريخ العالمي، وشحنها بمعان ودلالات جديدة تتماشى مع رؤيته الشعرية.

ويقول الشاعر : ⁽²⁾

ثمة من لامست شفتاه

القرابين قبلك

مملكة الزرقة الوثنية.

¹ - إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي الحديث، د.ط، الكويت، د.ت، ص 129.

² - محمد الفيثوري، يأتي العاشقون إليك، ص 26.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

يقصد الشاعر بالقربين، ذلك الشيء أو الهدية التي تقدم للآلهة، وذلك حبا لها أو خوفا منها وتجنباً غضبها .

ونلاحظ أيضا أنّ الشاعر إستعمل أكثر من مرة لفظة الآلهة، فهذه « الأسطورة تقوم على أساس ديني، أبطالها آلهة أو أنصاف آله، لها القداسة والإيمان... »⁽¹⁾.

ويقول في قصيدة "الرياح" :⁽²⁾

إني رأيت سقوط الإله

الذي كان في بوخارست

كما لو هوى برج إيفل في ذات يوم

كما لو طغى نهر السين

فوق حوائط باريس

كان حريق الإله الذي

مات في بوخارست عظيما.

يقصد الشاعر "بالإله" حاكم بوخارست الظالم الذي قتل بإستبداده كل شيء جميل، فنذكر الفيتوري عدة مناطق مشهورة في العالم، فهو يرى أنّ رحيل الأمل لدى بلاده هو رحيل كل شيء جميل وذا قيمة في هذا العالم.

¹ - سلطان عين أشعار، التراث في الشعر الفيتوري، ص 137.

² - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 20.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

كما إستحضر الفيتوري حادثة الطوفان في شعره، كغيره من الشعراء العرب⁽¹⁾.

يقول الفيتوري:⁽²⁾

كان الراقصون يعلقون طحالب القيعان

حول رقابهم

ويضاجعون هياكل الأموات في الذكرى

وكان العصر يرفل في هزائمهم

وكنت هناك..

ترتقب إحمراً عجينة الطوفان

فالفيتوري هنا يصطبغ الطوفان بلون الدم، اللون الاحمر.

أضفى الفيتوري بتوظيفه للأسطورة بصمة خاصة على عمله الإبداعي، لأن الشعر وفي كثير من المواقف « تنبثق منه طاقة سحرية، تحول الأحداث إلى صور، وتنقل الصور من عالم التشابه إلى عالم الرمز ومن عالم المجاز - الذي له دلالة فكرية - إلى عالم الأسطورة ومن المعروف أن الدلالة في الأسطورة دلالة معاشة قبل أي شيء آخر. »⁽³⁾.

والشاعر من خلال إستعماله لهذه الظاهرة الفنية بيّن مدى تعلقه الكبير بالموروث التراثي .

¹ - ينظر : سلطان عين أشعار، التراث في شعر الفيتوري، ص40.

² -محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك،ص126.

³ -عبده بدوي الشعر في السودان، ص11.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

المبحث الثاني : الأبعاد النفسية

أولاً- الذاتية

تعني الذاتية، أن يعبر الشاعر عن نفسه بكل صدق حيث يستطيع المتلقي أو القارئ إكتشاف شخصية الشاعر من خلال شعره يُعرّف الشريف الجرجاني الذات بقوله: « ذات الشيء نفسه وعينه»⁽¹⁾. ويرى الدكتور محمد زكي العشماوي أن « الذاتية شرط أساسي لتفوق الفنان وإمتيازه وبلوغه درجة الأصالة التي هي سمة من سمات الإبتكار والإبداع في العمل الفني»⁽²⁾.

نلمح نزعة الفيتوري الذاتية في عدة مواضع من الديوان بإعتباره في صدد التعبير عن تجربته الذاتية « الإنسانية بطبيعتها إذ أنّ جهد الشاعر منصرف إلى التعبير عن مشاعره بعد أن يتمثلها وهو لا يحاول نقلها على حالتها الطبيعية والاندت عن حدود الأدب والشعر وهو يراها بفكره ويتأملها ويحولها إلى مادة تعبيرية عن جهاد وعمل ومثابرة لا عن مجرد إستسلام للخيال والأحلام»⁽³⁾.

وتظهر ذاتية الفيتوري بشكل واضح في قصيدة "يأتي العاشقون إليك يا بغداد":⁽⁴⁾.

كان الطفل ذو الكوفية الحمراء

يركض عاريا

إلا من الحجر المخضب في يديه

¹ - علي محمد السيد الشريف الجرجاني، باب الذال، ص 93.

² - محمد زكي العشماوي، النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1979، ص 8.

³ - محمد غنيمي هلال، في النقد الأدبي الحديث، ط6، نهضة مصر، القاهرة، مصر، 2005، ص 361.

⁴ - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص134، ص135، ص136.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

أكاد .. إنني لا أصتق ..

عاريا إلا من الكوفية الحمراء ..

والحجر المخضب في يديه

يعبر الشاعر عن دهشته لشجاعة طفل الحجارة، فهو يمثل روح المقاومة، رغم كل آلامه ومأساته، رغم عريه من ملابسه لم يتخلى عن كوفيته الفلسطينية وعن الحجر الذي إتخذه سلاحا لمحاربة العدو الغاشم، فهذا الطفل يجسد ما تبقى من الشرف العربي في نظر محمد الفيتوري.⁽¹⁾

إنَّ الإحساس الذاتي الذي نصادفه في شعر الفيتوري مع سمو التعبير نجده في مواقف متعددة

ففي قصيدة "هوانا" يقول: ⁽²⁾.

عربٌ نحن .. وهذا دمنا

يتحدى في فلسطين الهوانا

عربٌ رايتنا وحدثنا

حلقت صقرا وحطت في سمانا

عربٌ .. لا أمضغ الملح .. ولا

أكسر السيف بعيني مهانا

فأنا أعرف أن الروح من

¹ - ينظر: محمد داود، اللغة في محراب القدس، د.ط، دار الهلال، القاهرة، مصر، 2011، ص 120.

² - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص 119 وما بعدها.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

روحنا نحن .. وأنَّ الكون كانا

وأنا أعرف أنَّ الشمس في غيبة .. ثم تعود النورانا

والمخاضات عذاب ..

ولقد تلد الأرحام وحلا واحتقانا

وأنا أعرف أنني أمةٌ

هي عند الله أعلى صولجانا

وأنا أركض في بستانها

خيلاء .. وأغني المهرجانا

تظهر ذات الفيتوري الجماعية بإعتماده على الضمير (نحن) فهو يشارك الشعب الفلسطيني مأساته ومعاناته جراء الاستعمار، فهو يدعم القضية الفلسطينية. يُوْظَهرُ الفيتوري إفتخاره بعروبيته ويعتد بكونه عربياً وبنتمائه لهذه الأمة المفضلة عند الله تعالى، فيكثر الشاعر من إستخدامه للأفعال المضارعة (أتحدى، لا أمضغ، لا أكسر، أعرف، تعود، تلد، أركض، أغني، ينقض)، ليدل على حاله الآني وعلى الإستمرارية في الفعل. كما إستخدم الشاعر الضمير (أنا) بشكل متكرر وذلك ليبرز موقفه الذاتي . يقول في قصيدة "إلى فتحي سعيد":⁽¹⁾.

مليء بأفاق البكاء

قصائدي عليك سجينات

¹ - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص 84.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

يطوقنني حزنا

تمنيت أن ألقاك حيا ..

وبي هوى لمصر، التي

ما غادرت قطُّ لي جفنا

ولكنها الأقدار تلهو ..

وربما مضى المرء في أيامه يحصد الغبنا

لقد حلت فاجعة الموت وآلام الفقد على ذات الشاعر فالأسى والحزن كان دافعا لكتابة الفيتوري

هذه الأبيات الحزينة حيث يعلن عن وصوله لأقصى درجات الحزن فأورد الشاعر مفردة (البكاء)

لتكشف عن حالة الحزن والأسى التي سيطرت على ذاته.

1-الحرية

لقد إحتلت قضية الحرية مكانة مميزة في الشعر الحديث، فراح الشعراء يدافعون عن هذه القضية ويدرجونها في أعمالهم الشعرية. وتعد « كلمة حرية أكثر كلمات القاموس السياسي إستعمالا عند عرب اليوم »⁽¹⁾ باعتبارها حق من حقوق الإنسان «الحرية إذا شعار ومفهوم وتجربة»⁽²⁾. ويعد الفيتوري شاعر حرية وصاحب دعوة للتحرر من الاستعمار ومن كل الطغاة الظالمين، حيث تغنى في معظم أشعاره « بمشاهد المعاناة الإفريقية في عصور الإسترقاق حيث عومل الإفريقي بلا رحمة، وحرم من إنسانيته وحقه في الحياة الكريمة »⁽³⁾. وفي عدة مواضع من ديوانه "يأتي العاشقون إليك" تطرق لموضوع الحرية والإنعتاق .

يقول في قصيدة "إلى نيلسون مانديلا":⁽⁴⁾.

مانديلا

إنَّ حريتي هي ميراث أُرضي

ومعجزتي

وتوهج دربي

مانديلا

¹ - عبد الله العروي، مفهوم الحرية، ط5، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2012، ص 6.

² - نفس المصدر، ص 9.

³ - حسن صالح التوم، الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني المعاصر، ص 246.

⁴ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 41.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

-إنَّ حريتي هي حريتي

في خلود نضالي

وفي عبقرية شعبي

مانديلا

إنَّ حريتي هي بدئي وخاتمتي

وهي ديني العظيم وربي.

(إنَّ حريتي هي ميراث أرضي) فالحرية هي كل ما يملكه الإنسان في هذا الوجود، وهي حق تمنحه له بلده لكي يعيش حراً في أراضيها،(إنَّ حريتي هي حريتي في خلود نضالي وعبقرية شعبي)، فالحرية تؤخذ لا تعطى.(إنَّ حريتي هي بدئي و خاتمتي وهي ديني العظيم وربي)، فالإنسان يولد حراً و يموت حراً والفيثوري متمسك بالحرية كتمسكه بدينه. كانت دعوة الفيتوري للتحرر نابعة من تجربته الذاتية وذلك بسبب إحساسه بمعاناة بعض الدول الافريقية والعربية من ظلم الإستعمار. فليس بإستطاعة « الدارس لهذا الشعر في ذلك العهد أن يغفل عن موضوع الحرية الذي شغل الجميع، وعبروا عنه بالتلميح أو بالتصريح، ولكن الحرية لم تكن عندهم حلما وحسب أو رمزاً وحسب، وإنما كانت كما هي عند غيرهم حقاً من حقوق الحياة والوجود ولكنه حق يؤخذ ولا يعطى»⁽¹⁾.

يقول في قصيدة "وقال مسعود الحكيم":⁽²⁾

¹ - علي شلش، الأدب الإفريقي، د.ط، عالم المعرفة، الكويت 1993، ص 66.

² -محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص69.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

كان يحلم

كان يحلم

ثم تمتد على الآفاق في عينيه

رؤيا الإنعتاق

لم يكن ثمة إلا السر والسر

وغيم أزرق يحجب بوابات فزان

يقصد الفيتوري بالفتى الحالم القائد الليبي السابق " معمر القذافي " «وخلمه بالإنعتاق قبل الثورة»⁽¹⁾

يقول الدكتور "علي شلش" في كتابه "الأدب الإفريقي": «لم يكن الثمن الذي دفعته شعوب

القارة في سبيل حريتها هيئنا كما هو معروف، ولم يكن الثمن الذي دفعه الشعر نفسه كواحد من

أسلحة معركة الحرية هيئنا أيضا، فقد تعرض أهم الشعراء وأبرزهم للإضطهاد والسجن والنفي»⁽²⁾.

¹ - رغيد الشيخ، أيام مع الفيتوري، ص 104.

² - علي شلش، الأدب الإفريقي، ص 66.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

2- الزنوجة:

الزواج كما هو متعارف عليه هم أصحاب البشرة السوداء، والزنوجية مفهوم نشأ وجاء كرد فعل على الإستبداد الفاضح الذي كان يطال الشعوب الإفريقية السوداء، إنتقاماً من الذين ينتهكون كرامتها وحقوقها بسبب لونها الأسود⁽¹⁾. وقد سبب اللون الأسود عقدة نفسية لدى الزوج، فظهرت عدة جمعيات تقوم بتقدير الأسود حيث «نشأت حركة في الثلاثينات من القرن العشرين، هادفةً إلى إعادة الإعتبار والتقدير للإنسان الأسود، وبعدها ظهرت الحركة الثقافية للزنوجة والتي يعتبرها ليوبولد سنغور منظرها الأكثر عنفاً والأكثر صواباً، فهو الذي عرف الزنوجة بأنها (مجموع القيم الثقافية للعالم الأسود)»⁽²⁾.

وكان الفيتوري في صغره يشعر بوطأة لونه، ومع مرور الوقت أدرك أنها كانت مجرد نظرة متشنجة، «الأسود حر، اللون لا يستتبع العبودية فليس لأنه أسود هو عبد وإنما لأن هناك أبيض في قارة بعيدة رغب أن يستعبده ويشحن به السفن يكده ويكبله كي يخدمه»⁽³⁾.

ناصر الفيتوري السود في كل العالم تقريباً، حيث كانت معظم دواوينه وخاصة الأولى تتناول موضوعهم حيث يصف فيها الزواج وحالتهم والظروف التي كانوا يعيشونها من الإستبداد والظلم... « فكلمة أسود أو زنجي تعني العبيد في أذهان الكثيرين، كما أن (العبد) كان يعرف أحياناً بأنه (الشيء الذي يمكن شراؤه وبيعه مثل أي متاع منقول، كان على الإفريقي أن يؤكد بشرته»⁽⁴⁾.

¹ - ينظر: حسن جعفر نور الدين، مفهوم الحرية من خلال كتاب (من الشعر الإفريقي المعاصر)، مجلة رسالة النجف، العدد 21، حزيران 2012، تصدر عن جامعة النجف الأشرف للعلوم الدينية ، لبنان.

² - المرجع نفسه.

³ - رانيا مأمون ، أحتقي بزنجوتي (حوار أجري مع الفيتوري)، مجلة الدوحة، العدد 84 ، أكتوبر 2014، تصدر عن وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ص 62.

⁴ - حسن صالح التوم، الإتجاه الإفريقي في الشعر السوداني، ص 100.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

فالإنسان صاحب البشرة السوداء يعتبر عبداً عند الإنسان الأبيض ويمكن أن يتحكم فيه مثل أي شيء يملكه.

احتلت البشرة السمراء حيزاً كبيراً في شعر الزوج «ويمكن القول بأن للشعب السوداني تركيبة عقلية ووجدانية خاصة به، وقد كان وراء هذا أن الإنسان فيه "منعزل" إلى حد ما وأنه يضع في العروبة رجلاً ويضع في الزنوجة رجلاً»⁽¹⁾.

وقد كان اللون الأسود محور اهتمام الشاعر محمد الفيتوري طيلة حياته « لذلك إتخذ الفيتوري من اللون الأسود سلاحاً في ثورته ضد الجهل والظلم ... وصبغ شعره باللون الأسود لرفع مستوى الوعي والفكر الإنساني فإنغمس في عذابات إفريقيا وإنسانها الأسود وفي السياسة مشهراً سلاح اللون الأسود في وجه أعدائه، واستخدامه سلاحاً إرهابياً يرهب به أعداء القارة»⁽²⁾.

إستعمل الفيتوري الأسود رمزاً للعبودية، فكان في نظره الإنسان أسود البشرة مظلوم من طرف الإنسان الأبيض، فتغنى الفيتوري بالسود ومن بينهم الزعيم "نيلسون مانديلا"، حيث كتب عنه قصيدة كاملة يقول في بعض أبياتها :⁽³⁾

ساكن أبداً في طقوسك

مثل إله قديم

يرصعه ذهب الشمس ...

يا أبنوس الخريف الجنوبي

¹ - عبده بدوي، الشعر في السودان، ص 199.

² - ينظر: صالح التوم، الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني، ص 262.

³ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 38.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

كيف يكون جلال الشهادة

إن لم تكن أنت !

تولد في الموت

تكبر في الموت

تطلع حقل نجوم على حائط الموت

يستعمل هنا الفيتوري كلمة أنبوس للتعبير عن الزعيم الإفريقي "نيلسون مانديلا" الذي يتميز

ببشرته السوداء، وقد أشرنا إلى هذا سابقاً.

يقول في قصيدة أخرى: (1)

كزنجي من الماضي

تسمرت وراء الليل، مثقوب الحجاب

لست طفلاً يتجلى عابثاً

في لعبة الكون المحطم

في هذا المشهد الحزين، يشرح الشاعر تشاؤم الإنسان الأسود ، فالواقع الذي يعيشه الرجل

الزنجي واقع أليم، لقد سبب اللون مشكلةً للفيتوري في موضوع الإنتماء فجعله تائهً بين الزنوجة

¹ - محمد الفيتوري، يأتي العاشقون إليك، ص 57.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

والعروبة، وهذا ما جعله متنقلا من بلد إلى بلد ولا يتحدث عن أصله وتربيته إلا قليلا ولا يغنى إلا بإفريقيا ومتبنيا موقفا إنسانيا عاما⁽¹⁾.

يعتبر اللون الأسود جزء من حياة الشعراء الزوج، ويعتبرون أن هذا اللون سبب في معاناتهم الاستبداد والظلم.

¹ - صالح التوم، الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني، ص 262.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

ثالثاً - الحنين

الحنين هو الإشتياق، وقد يكون للوطن والعودة للبلد والأهل أو للعصور الماضية

بشخصياتها و أحداثها.

يقول محمد الفيتوري في قصيدة "إلى فتحي سعيد":⁽¹⁾

مليءٌ بأفاق البكاء

قصائدي عليك سجينات

يطوقنني حزنا

تمنين أن ألقاك حيا ..

وبي هوى لمصر التي

ما غادرت قط لي جفنا

لكنها الأقدار تلهو ..

وربما مضى المرء في أيامه يحصد الغبنا

أخي .. يا أبا الماضي ..

كأنك لم تكن

وأنت الذي كنت فينا

وقد كنا

¹ - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص84 وما بعدها.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

يصور الشاعر محمد الفيتوري حالته النفسية الحزينة على إثر رحيل الشاعر المصري "فتحي سعيد" الذي فارق الحياة « يوم 18 يناير سنة 1989»⁽¹⁾. حيث كتب الفيتوري قصيدته "إلى فتحي سعيد" يوم 25 جانفي 1989⁽²⁾. وذلك بسبب تأثير رحيل هذا الشاعر على نفسية الفيتوري، ففي الأبيت الأولى يُظهِرُ الفيتوري حزنه الشديد على وفاة هذا الشاعر (مليء بآفاق البكاء)، (قصائدي عليك بسجينات) .

ثم يواصل مبرزا حزنه واشتياقه وتمنيه لو كان هذا الشاعر حيا:

تمنيت أن ألقاك حيا

وبي هوى لمصر التي

ما غادرت لي جفنا

هنا الشاعر إلى جانب شوقه للقاء "فتحي سعيد" يصرح أيضا بحنينه وشوقه لمصر التي لم

تغادر تفكيره .

أخي .. يا أبا الماضي

كأنك لم تكن

وأنت الذي كنت فينا

وقد كنا

يعود الفيتوري مرة أخرى لمخاطبة فتحي سعيد، وهنا يبرز حنين الفيتوري وشوقه بصورة

واضحة.

¹ - ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة (فتحي سعيد). <https://wikipedia.org/wiki/>

² - ينظر: ديوان يأتي العاشقون إليك، في آخر قصيدة إلى فتحي سعيد، ص 86.

الفصل الثاني: الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان " يأتي العاشقون إليك "

يقول في قصيدة المتبّي: (1).

بغداد ... أشأمتُ مشدوداً إليكِ

ويا شام الهوى أنا في العاقول أنتظر

ويا حدائق كافور القديم

سوى تلك الثمار التي حلتها الثمر

يرى الأستاذ الدكتور يحي الجبوري أنّ الحنين إلى الأوطان غزيرة في النفوس « فهو ظاهرة إنسانية عامة في نفوس البشر » (2). كما يرى عبده بدوي أيضاً أنّ « حنين الفيتوري لم يكن للسودان وإنما كان القارة الإفريقية باعتبارها قد أصبحت رؤياً تحريرية له يحاول أن يخلع عليها صراعه النفسي وأن يتخلص في الوقت نفسه من أزماته الباطنية » (3).

في هذه الأبيات يظهر حنين الفيتوري وشوقه لبغداد ومدى تعلقه بها، فنذكر الأماكن المميزة التي تشده إليها.

1 - محمد الفيتوري، ديوان يأتي العاشقون إليك، ص81.

2 - يحي الجبوري الحنين والغربة في الشعر العربي، ط1، دار مجدلاوي، الأردن 2008، ص 5.

3 - عبده بدوي، الشعر في السودان، ص162.

من خلال ما سبق، توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- للشاعر محمد الفيتوري رؤيته الخاصة لعملية الإبداع الشعري حيث يقاس جوهر الإبداع الشعري عنده بمستوى قدرته على التعبير عن الهموم الكلية للإنسان والمجتمع وأن يكون وثيق الصلة بالواقع العربي.
- للفيتوري تجربة شعرية ثرية وغنية بسبب الواقع وظروف الحياة التي واجهته فكتب في عدة أغراض ونال مكانة مميزة في الساحة الشعرية.
- إنَّ الفيتوري عندما وضع عنوان ديوانه كان تحت تأثير العمل نفسه، فالعنوان مرتبط بالنص مباشرة.
- إنَّ صورة الغلاف التي إختارها الشاعر لديوانه تتمثل في صورة رمزية تحمل دلالاتٍ وأبعاداً نفسية عميقة تعود على الشاعر، وهذه الصورة ترجمة للعنوان.
- مثلت قصائد ديوان "يأتي العاشقون إليك" في مجملها تألق الفيتوري في تفاعله مع ملامح الكفاح الإنساني وانتمائه العربي.
- تعددت الحقول الدلالية في هذا الديوان حيث إستخدم الشاعر ألفاظا تحمل دلالات عميقة مشبعة بالقومية العربية والنزعة الافريقية.
- برزت ظاهرة الإنزياح جلية بنوعها الاستبدالي والتركيبى في هذا الديوان مما أضفى عليه التفرد والتميز وأدهش وأثر في المتلقي.
- كان للرمز نصيبٌ في الورود في هذا الديوان وتليه الأسطورة فالشاعر من خلال إستعماله هاتين الظاهرتين الفينيتين بيّن مدى تعلقه الكبير بالموروث التراثي .
- وظف الفيتوري الخيال والتصوير الفني لإستنطاق المعاني العالقة في ذهنه وإخراجها إلى الواقع فاعتمد على التشخيص والمزج بين المتناقضات في تشكيل صورته الشعرية.

- برزت النزعة الذاتية للفيتوري بشكل واضح في هذا الديوان فتنوعت بين ذاتية فردية يعبر فيها الشاعر عما يكتنف ذاته ويسكن روحه وبين ذاتية جماعية يعبر بها عن مشاركته لآلام إخوانه العرب ومعاناتهم.
- أثرت زوجة الفيتوري على أدائه الإبداعي، حيث يعد اللون الأسود جزء من حياته،.
- يعتبر الشاعر محمد الفيتوري شاعرَ قضايا التحرر ' حيث إحتلت الحرية مكانة مميزة في شعره.
- كان حنين الفيتوري واضحا لمصر وبغداد وإلى "المتنبي" و"فتحي سعيد" ، فهو يعتبر كل بلد إفريقي وطنه.

1 - المعاجم

- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العالمية للناشرين المتحدين، تونس 1986.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، مادة عنن، مجلد 13، طبعة جديدة، دار صادر، بيروت 2000.
- الخليل أحمد الفراهيدي، معجم العين، الجزء 4، تح:د/عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1985.
- علي محمد الشريف السيد الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، د.ط، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د.ت.
- محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، الجزء 3، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999.
- نواف نصار، معجم المصطلحات الأدبية، ط1، دار المعتز، عمان، الأردن، 2011.
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين
<http://www.albahrainprize.org/encyclopedia>
- معجم الجامع الإلكتروني، قاموس عربي عربي، WWW.almaany.com/ar/dict/ar-ar

2 - الدواوين :

- محمد الفيتوري، ديوان أقوال شاهد إثبات، ط4، منشورات الفيتوري، الخرطوم، السودان، 1988.
- يأتي العاشقون إليك، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1992.

3 - المراجع :

- أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تح: عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطيء)، ط9، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ت.
- أدونيس، الثابت والمتحول (ج3 : صدمة الحداثة)، ط1، دار العودة، بيروت، لبنان، 1978.
- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي الحديث، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، د. ت.
- أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، د.ط إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002م.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط4، القاهرة، مصر، 1993م.

- أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1982.
- جابر عصفور، الصورة الفنية، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1992.
- جهاد شاهر المجالي، دراسات في الإبداع الفني في الشعر، ط1، دار يافا العلمية، عمان، الأردن، 2008.
- جهاد فاضل، قضايا الشعر الحديث، ط1، دار الشروق، لبنان، 1984.
- حسن صالح التوم، الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني، ط1، سولو للطباعة والنشر، الخرطوم، 2002.
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتحقيق وتدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط1، 1999.
- طارق محمد السويديان ومحمد أكرم العدلوني، مبادئ الإبداع، ط3، قرطبة للنشر والتوزيع، 2004، المملكة العربية السعودية.
- عبده بدوي، الشعر في السودان، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د. ت.
- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، مصر، د.ت.
- عبد الله العروي، مفهوم الحرية، ط5، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2012.
- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ط4، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، د. ت.
- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د. ت.
- علي جمعة عابدي، شعر خليل حاوي، دراسة فنية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2006.
- علي شلش، الأدب الإفريقي، د.ط، عالم المعرفة، الكويت 1993.
- غريد الشيخ، أيام مع الفيتوري، سلسلة أيام معهم 3، ط1، النخبة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 2008.
- فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر، إتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 2005.
- مجموعة من المؤلفين، اللغة الفنية، تعريب: محمد حسن عبد الله، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت.
- محمد داود، اللغة في محراب القدس، د.ط، دار الهلال، القاهرة، مصر، 2011.

- محمد زكي العشماوي، النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1979.
- محمد غنيمي هلال، في النقد الأدبي الحديث، ط6، نهضة مصر، القاهرة، مصر، 2005.
- يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ط1، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 2007.

4 - الرسائل الجامعية :

- إيمان جربوعة، مديح الظل العالي لمحمود درويش، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، 2010 .
- حامد سالم درويش الرواشدة، الشعرية في النقد العربي الحديث (رسالة دكتوراه)، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، الأردن، 2006.
- سلطان عيسى الشعار، التراث في شعر محمد الفيتوري (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية وآدابها، الكرك، الأردن، 2007.
- عبد الهادي صالح، محفزات الإبداع في الشعر السعودي (رسالة ماجستير)، قسم الأدب العربي والنقد الأدبي، كلية اللغات، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2015.
- نور الدين حديد، مفهوم الإبداع الأدبي في النقد العربي المعاصر (رسالة ماجستير)، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف2، الجزائر، 2014/2013.
- مسكين حسينة، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر (رسالة دكتوراه)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2014/2013.

5 - الجرائد والصحف والمجلات :

- جريدة الرياض، العدد: 15983، الأربعاء 28 مارس 2012، تصدرها مؤسسة اليمامة الصحفية، المملكة العربية السعودية.
- جريدة المصري اليوم ، www.almasyryoum.com
- صحيفة سودانيل الإلكترونية السودانية ، <http://www.sudanile.com>
- صحيفة العرب، العدد 9900، الاثنين 27/07/2015، السنة 37 (صحيفة عربية يومية تأسست في لندن سنة 1977)، تصدر عن al arab publishing house ، لندن.
- حوليات المحبر، العدد الأول، يصدرها مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2013.

- مجلة الدوحة، العدد 84 ، تصدر عن وزارة الثقافة والفنون والتراث،الدوحة، قطر، أكتوبر2014.
- مجلة رسالة النجف، العدد21، حزيران 2012، تصدر عن جامعة النجف الأشرف للعلوم الدينية ، لبنان.
- مجلة فتوحات، العدد الثالث، جوان 2016،تصدر عن مخبر التأويل والدراسات الثقافية بكلية الآداب واللغات لجامعة خنشلة، الجزائر.
- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة خيضر بسكرة، (الجزائر)، العدد الثاني والثالث،جانفي-جوان2006.
- مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، العدد15، تصدر عن جامعة غرداية ، الجزائر،2011.
- 6 - المواقع الالكترونية :
 - ويكيبيديا الموسوعة الحرة .<https://wikipedia.org/wiki/>
 - موسوعة المعرفة WWW.marefa.org
 - <https://www.youtube.com>

فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
إهداء.....
شكر وعرفان.....
مقدمة.....	أ.....
المهاد النظري.....	6.....

الفصل الأول: محمد الفيتوري وتجربته الإبداعية

المبحث الأول: حول حياة محمد الفيتوري.....	14.....
أولاً: مولده ونشأته.....	14.....
ثانياً: العوامل التي أثرت في شخصيته.....	15.....
ثالثاً: مصادر ثقافته.....	17.....
رابعاً: زواجه.....	18.....
خامساً: مكانته الشعرية ووظائفه.....	18.....
سادساً: أعمال الفيتوري الإبداعية.....	19.....
سابعاً: وفاة محمد الفيتوري.....	25.....
المبحث الثاني: النص الموازي في ديوان "يأتي العاشقون إليك".....	26.....
أولاً: سيميولوجيا الغلاف.....	26.....
ثانياً: البعد اللغوي للعنوان.....	29.....
ثالثاً: الحقول الدلالية لقصائد الديوان.....	32.....

الفصل الثاني : الأبعاد الفنية والنفسية في ديوان "يأتي العاشقون إليك"

45.....	المبحث الأول: الأبعاد الفنية.
45.....	أولاً: الإنزياح الأسلوبي.
57.....	ثانياً: الخيال والتصوير الفني.
63.....	ثالثاً: الرمز والأسطورة.
74.....	المبحث الثاني: الأبعاد النفسية.
74.....	أولاً: الذاتية.
78.....	ثانياً: الحرية والزنوجة.
85.....	ثالثاً: الحنين.
88.....	خاتمة.
90.....	قائمة المصادر والمراجع.
94.....	فهرس الموضوعات.